Le Caire - 1—5— 1950

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

19ème année No 878

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٦٩ — أول مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

«حياتى» و «مذكراتى»

أما « حياتى » فقد علمت أنها ترجمة لحياة الكاتب الاجتماعى الكبير الدكتور أحمد أمين بك ، كتبها بقلمه الصريح الصادق فجاءت صورة لقلبه ، وشهادة على غيبه ، ومرآة لبيئته . وما كان لكاتب « حياتى » أن يقول على نفسه غير الحق ، لأنه كتبها وهو واحد من الآحاد البارزين الممتازين فى الأدب والفضل ؛ فهو غنى بجمال حاضره عن تمويه ماضيه ، وبصدق واقعه عن تزوير حقه

وأما « مذكراتى » أو مزوراتى فهى ترجمة فى ثلاثة أجزاء للصحفى السورى المعروف محمد كرد على ؛ كتبها حين رد إلى أرذل العمر وعاد لا يعلم بعد علم شيئا ؛ فهى رواسب من أكدار السنين التسعين تقاطرت على قلمه سوداء كالحقد ، تتنة كالغيبة ، كدرة كالغضب ، فارقة كالاخفاق ، فألفت هـــذه الصفحات المئات ، تقرأها فلا تجـــد أسلوبا يمتعك ولو بالزخرف ، ولا رأيا يقنعك ولو بالخداع ، ولا قصصـــا يلهيك ولو بالباطل ، فتلقى الكتاب من يدك وتسأل : لماذا نشر الرجل على أمين الناس هذا الغسيل الرث القذر ؟ فيجيبك من يجيب : إنها الشيخوخة !

ذكرت «الأيام» حين قرأت «حياتى» ، لأن بين الكتابين جهتين جامعتين : هما الاتحاد فى صدق الموضوع ، والتضايف فى جمال العرض وذكرت كتاب كرد على حين قرأت كتاب أحمد أمين ، لأن بين الكتابين جهة جامعة ثالثة هى التضاد . فالترابط بين « حياتى » و « مذكراتى » هو الترابط بين الحياة والموت ، والصدق والكذب ، والطلاوة والنثانة .

وجد طه حسين وأحمد أمين فى نفسيهما وفى تاريخهما رجلا وعجدا ، فخلا هذا الرجل ، وعطلا ذلك المجد ؛ أما كرد على فلم يجد فى نفسه ولا فى تاريخه شيئـــا من هذين ، فحاول أن يخلق الرجل بالدعوى والغرور ، وأن يصنع المجد بالاختلاق والزور . ومن قبل حاول القرد أن يقلد علو الانسان ، فتسلق شجرة غيناء من شجر المشمش فى (النوطة) ، وأخذ يرمى السابلة بالنوى ؛ فان التفت أحد إليه نب وشب وقال : أنظر ! أنا هنا ! أنا فوق ! ولكن حركات القرد تلهى وتضحك ، وكلمات كرد على تتفى وتمل !

كل ما فى « مذكراتى » على طولها تفاهة وسفاهة وادعاء . فمن تفاهتها قوله فى (الحورعة) وهى دعوة الحصادين إلى وليمة : « يذهبون إلى حمام (القيشانى) وهناك كنت أفرك ظهور أجرائنا ... » وقوله : « وكان الكهلات والشـــابات والعجائز من تلك النسوة ، الفلاحات منهن والبلديات ، يضممننى إلى صدورهن ويقبلنى ، وأضمهن وأقبلهن . وأحسن ما كان يشوقنى الجلوس فى حجورهن والعبث بنهودهن »[1] ومن سفاهتها أنه لم يترك عالما ولا أديبا ولا فاضلا فى مصر والشام وتركيا إلا أخذ بلسانه ، وتناوله ببهتانه . وكان من نصيبى أنه شتمنى ونزى بالفلاحة والتجارة والعقوق ، لأنى لم أنوه بفضله فى مقالة ، ولم أبادل تجمع دمشق بالرسالة . ومن ادعائها أن يزعم أنه قطب الرجا فى

(١) الجزء الأول ص ١٣ ، ١٤

سطور زرق

للاستاذ راجي الراعي

وقفت أمام البحر أسأل عن وعشته.. لماذا يرتعش البحر ؟

أيرى نفسه على رحابته وعظمته سجيناً فى مكان رسم له فى الأرض لايستطيع أن يفلت من قضبانه ليهجم على اليابسة عدوته الأزلية فيرتعش رعشة الاسد السجين يقف الحديد بينه وبين أطماعه؟ رعشة القوى الشاعر بقوته ولكنه لا يمارسها ؟

أم هو يرى جريمته فى بقايا الأبطال من غرقاه فيرتعش رعشة الخاطىء الذى حالف الموت فأعطاه مكانا باقى فيه بعض الخلائق التى حصدتها مناجله وضاقت بها الأضرحة ؟

أم هو يضن بدرره المستقرة فى قلبه ويخشى عليها من جيتانه فيرتعش رعشة الغنى أمام الأيدى الجريئة التى تمتد حول خزائنه ؟

أم هو يرى يومه الأخير الذى يعدل فيه على روايته ستارها الأزرق ويعود إلى اليابسة فيرتعش رعشة الحى المتشبث بيومه الخائف من غده ؟ لماذا يرتعش البحر ؟

أهو شاعر عبقرى روحانى نورانى خلق ليعيش فى عالمه بين افكاره وأحلامه وعواطفه بعيداً عن الانسان والانسانية قريباً من نفسه ومن خالقه ، وليكون جزيرة بارزة مستقلة عن أنحاء التراب فى بحر الوجود ، يرى نفسه ملكاً اسواه ، وساحة عامة يطأها العابرون ، وصدراً مفتوح الرئتين يرى القلب والضلوع تشقه السفن والدارعات والطرادات والنسافات على مختلف أحجامها وألوانها ، وتنفث فيه دخانها وتصيح صيحاتها وتاق مراسيها فيرتعش رعشة العبقرية التى أقامت لنفسها الهياكل العاجية فاستبيح حماها واسود عاجها ، رعشة الشاعرية التى سدلت الستار على آلهتها فمزقتها الأيدى القاسية الأثيمة ؟

أم هو يرى فى مائه تلك الدموع التى التقطها من العيون الباكية ، وأنه من أجل ذلك يجسم اليأس ، وأن كل كئيب يصب فيه ثمالة كأسه ، وأنه الثملات فى كأس واحدة ، والدموع فى عين واحدة، فيرتعش فيه الوهية الألم التى اتخذته لها معبداً ؟

أم هو يحدق فى إلهه (نبتون) ويؤمن بأنه إله الآلهة فيرتعش رعشة العبادة والايمان ؟ أم هو بين موجته المجنونة وغايته المجهولة رجل أضاع عقله فارتعش رعشة الجنون ؟

أم هو يشرب خمرة الزبد البيضاء فيرتعش رعشة الثمل ؟ أم هو المرأة ذات العينين الزرقاوين يراها (كيوبيد) إله الحب منتهى حبه وإطار خياله ، ويمسح بثوبها الأزرق دم كل سهم من سهامه التى رمى بها العشاق فترتعش الرعشة الكبرى ، رعشة الرعشات؟

لا أدرى لماذا يرتعش البحر ولا هو يدرى. هو البحر ومع ذلك لا يعرف نفسه، ولعله لا يعرفها لأنه البحر .

وأرهفت أذنى للموجة الزرقاء فسمعت أصواتاً تقول لى : أنظر كيف تشق عباب السفينة، ويلعب باحشائى الغواص ، وكن مثلى رحب الصدر صبوراً — صارع صخورك كموجاتى وكن وثاباً، وإذا استرحت فلتكن راحتك تأهباً لوثبة الغد — أنا مع عظمتى أسير تقيده الشواطىء فاذكر دائماً أنك مهما علوت وشمخت وحملت الصواريخ وركبت العروش لاتستطيع أن تكون حراً ؛ وأن الحياة جهاد للتملص من ربقة الشاطىء الذى يقف فى طريق النفس الهائجة فيمنعها من أن تتجلى بكل ما فيها من أنوار ونيران لتحقق أحلامها وتسكب خمورها — أنا وادع ثائر عاقل مجنون ، فكن مثلى حكيما وفرق بين سيفك وندائك ..

وسمعت صوتاً صارخاً يقول : أيها الشرف على عالمنا المتفرس فى حياتنا البحرية، أنظر إلى أنا السمكة الصغيرة تبتلعنى السمكة الكبيرة لأنها القوة ولأننى الضعف ! وإليك أشكوها أيها الانسان؛ فهل لك أن تحول بطشها عنى وتضع فى قلبها شيئا من الرحمة والحنان؟ فقلت لها : أيتها المستجيرة بى، بنا على الشاطىء مابك فى الماء ، نحن أسماك الأرض يأكل كبيرنا صغيرنا ، ويقتل قوينا ضعيفنا فسيف القوة مصلت فى البر والبحر؛ وكأن الأقوياء فيهما يؤلفون عصبة واحدة ويتنادون ؛ فكلما ريح الظلم فريسة فى بطن

السياسة ؛ فتركيا تستشيره وتعرض عليه المجد، وفرنسا تستنصره وتلوح له بالذهب ؛ ولكن كرد على الواعد العابد يرد على تركيا الشرف والإمارة ، ويرفض من فرنسا المال والوزارة !! لاأدرى لماذا خطر بالى الساعة ابن زبدون وابن عبدوس والرسالة الهزلية ؟!

مصطفى صادق الرافعي

الماء ريح أخرى على سطح الأرض - الظلم يا سمكتي الصغيرة قديم، والظلم في كل مكان. فلا تستجيري بابناء الأرض، ولا تحسبي انك إذا خرجت من الماء أفلت من قبضة الأقوياء ..

ودرت حول البحر أسأله : هل هناك ما يشبهك في الأرض؟ فقال : تشبهني الصحاري ولكنها بحور جامدة، والتلال ولكنها بحور سود ..

وسألته : كيف أنت والأفق ؟ فقال : شقيقان لفظتنا احشاء امرأة هي الطبيعة؛ والصلات التي تجمعنا عديدة. فلوننا واحد هو الزرقة، وجيوشنا لا تعد ولا تحصى؛ فللافق نجومه ولي موجاتي ، وكلانا رمز العظمة واللانهاية؛ ولكل منا وجهه الغضوب. فللافق صاعقته التي يمطس بها أنفه ، ولي بركاني الثائر، وفي قلبينا تستقر الدرر ..

وسألته : كيف أنت والصياد ؟ فقال بلهجة الفائز : انني آخذ أكثر مما أعطي . إن غرقاي الذين أغنمهم أوفر عدداً من الأسماك التي يغنمونها مني..

وسألته : هل أنت عصاي أيها البحر ؟ فحنى رأسه وقال : ان عيبي الوحيد هو أنني استعير مجدي وقوتي من سواي ؛ فلولا تلك الينابيع والأنهار والجداول لم أكن . انها تموت في لأحيا، وتصب في كنوزها لأصبح ثرياً ... انها تعطيني جنيها لأنجبر ؛ وتضع في صدري الملايين من القلوب ليظل نابضاً إلى الأبد . . أنا كالقمر يستمد نوره من الشمس ولولاها لم يكن القمر . أنا البحر ولكني رجل مدين لا يستطيع أن يمنح السحاب بأنفه الجبار .

وسألته عن البخار الذي ينفثه ، فبدت على وجهه الرحمة وقال: أنفثه لتسكب الغمامة ماءها فتحيي الشجرة ، ابن الحنان أنا جاءني به ذلك الينبوع الذي وهبني قلبه ...

وسألته : هل للشعر مكان فيك ؟ فأجاب : شاعريتي في رعشتي، وصور خيالي المتوالية المتعاقبة في هذه الموجات ...

وسألته عن البراكين فأجاب: عندما أغضب الغضبة الكبرى وتعجز الموجة عن أن تسعها ، أطلق بركاني ، ومن عجائبي انني أخرج النار من مائي ..

وسألته : كيف أنت والجبل؟ فقال : الجبل ضيق وأنا فسيح. الجبل مقطب الجبين وأنا طلق المحيا . الجبل صخرة وانا رعشة . الجبل عقل صارم وإرادة باطشة، وأنا قلب خفاق وشعور صارخ، وإذا كان للجبل عقبانه على قمته، فلي كنوزي في أعماقي.

وسألته عن الغزاة الفاتحين فقال : إن لهم بحورهم ولكنها من دماء . .

وعن الفلاسفة فقال : أنا في كل كرة من كرات شكهم ويقينهم . انهم يموتون صرعى بين أمواجهم التي تفمر كيانهم ..

وعن المنتحرين فقال : انهم يؤثرون موجتي الهائجة على التراب البليد الصامت ..

وسألته : كيف أنت والخيانات ؟ فقال : اني أعرفها . فكم من عقيدة طرحها في صاحبها ولم يسأل عن غده ..

وسألته : من هم أعداؤك الألداء؟ فقال : القناعة والتشاؤم والبخل والعقم ..

وسألته عن الابعاد فقال : انها موجات في بحر الخلود ..

وسألت وسألت حتى خشيت أن يستهويني البحر . وقبل أن تركت الشاطىء وعدت إلى صلاة الأرض سجدت أمام (نبتون) وصليت صلاتي الزرقاء فقلت :

يارب السماء !

ضع من قلبك في قلبي فتتسع دائرته ويثور دمه ، واضرب بموجاتك الصخور القائمة في طريق خيالي وأحلامي ..

غذ ارادتي لأحطم كآبتي وضعفي، وارفعني إلى محـــــوالك لأبسط كتابي في العالمين ..

افتح عيني لتسمك وأذني لتسمعك ..

جملني بالعظمة والصبر، واجعل صـــــدري رحباً ليسع الناس ولؤمهم والأقدار وظلمها ..

أغرق في الوجه القبيح من انسانيتي ، وأبق لي وجهها الجميل وزده جمالا ..

أغرق صحرائي واجعلني بحرا وخذني أنت لاسوالك في يوم الأخـــير ، وارحمني من وطأة ذلك الحجر البارد الثقيل اللئيم أيها الكريم الرحيم ..

راجي الراعي

حكاية الشعر الرمزى

للأستاذ حبيب الزحلاوى

نشر الأستاذ عادل الغضبان فى المجلة التى يتولى رئاسة تحريرها ، مقطوعة رمزية من قلم الدكتور بشر فارس .

ليس إيراد الباعث على هذا الوضع الغريب ، وإنما الغرابة فى أن الأستاذ عادل لا يؤمن بالشعر الرمزى ، وله فيه رأى لا يرضى الرمزيين ولا مطاياهم . وهو برغم هذا يفتح صدر مجلته لمقطوعة الدكتور بشر فارس ، ويعلق عليها ، ويدع الدكتور يعلق على تعليقه ، ثم ينشر مقالا فى ذات العدد بقلم الأستاذ ابراهيم الابيارى يدافع به عن المذهب الرمزى .

هنا وجه الغرابة ، بل هنا مجال الشك والتساؤل .

كان من المنتظر — لولا هذا الوضع المستغرب — أن تسلك المقطوعة الرمزية الجديدة السبيل الذى سلكته أخواتها من قبل ، لتصل إلى ذات القبر الذى دفن فيه ، أما الأثر المفروض حدوثه وهى طريقها بين المهد واللحد ، فهو معروف عند جميع الأدباء ، فكاهة تفسح مجالا للتندر والسخرية ، إشفاق على جهود تهدر فى الالتواء والمرض ، وعياذ من انتقال وباء الرمزية إلى أدبنا ، أو هروب الشاعر إلى بلاد الله الواسعة ، يلحق أدباء مصر فى الشام ، ويسفه أدب الشام فى العراق ، ويوقع فى لبنان بين المسيحيين والمسلمين ، ويزدرى الشرقيين فى بلاد الغربيين .

كان هذا المرتقب وقوعه بالقياس على الوقائع الماضية ، ولكن لباقة الأستاذ عادل الغضبان تحت هذه الظنون ، ونأت بهذه الاستنتاجات بعيداً . بموقفه من الدكتور بشر فارس إذ يقول له : سواء كانت هذه المقطوعة من عالم الشعر أم من عالم النثر فليس هذا موضوع الخلاف ، وإنما هو فيما تضمنته من رموز خشينا معها أن تند عن عمود الشعر العربى » ويستطرد وهو الرزين المتمكن : « إن الشعر ، معنى وشعور وموسيقى ، يتعاون اللفظ والأسلوب والوزن والقافية على إخراج ذلك المثلث ، فمن شاء من الشعراء فصل لها من الخضوع والوضوح ، ومن شاء ألقى على هيكلها وشاحاً رقيقاً من الابهام ، ومن شاء رمز وكنى » وبعد أن ضرب الأمثال وأنهض الأدلة قال : « إن هذه المقطوعة لا تنحدر إلى القلب إلا بعد تمنع ، ومتى انحدرت إليه ملأته بالعبرة والاعجاب (!!!) ولعلها لا تثير فيه هزة الطرب والانفعال » .

كلام مقبول موزون لا مرية فيه ، ولكن أنى للداعية الرمزية المنادى بنفسه إماماً لها ورسولا أن ينصت إلى معلمه ، وقد كان تلميذا له فيما غبر من الأعوام ؟ أنى للتلميذ الذى سبق معلمه بمراحل أن يقبل ما هو مقرر من قواعد الشعر وهى معروفة ثابتة من مئات السنين ؟ إن الدكتور بشر فارس هو متمم انتسامة الشفق على معلمه المتخلف عن ركب الحياة ويقول له « إن تعريفك للشعر إنما هو التعريف المتقادم الضيق ، المحصور فى الشكل وحده ، وأن العمود الشعرى الذى أكبرتموه وقدستموه فإنى مستطيع إبعادكم عنه » ولم يكتف بما قال بل راح يدل كعادته ، على ما قال وكتب ونشر فى الصحف السيارة ويهدى إلى فهارس وأسانيد تثبت خطل تعريف الشعر العربى القديم ، ويدعى أن تعريفه الحديث « هو إبراز المضمر ، واستنباط ماوراء الحس من المحسوس ، وتدوين اللوامع والبدائه »

ضحكت من هذا التعريف العصرى ، والضحك مفتاح الغضب ، ولكنى تمهلت ريثما اطلع قراء « الرسالة » على « المقطوعة » مثار الموضوع ، لعلى أنا الذى عيبت عن فهم الرمزية ؛ وعنوانها « إلى زائرة » تلك التى وقف منها الأستاذ الزيات فى كتابه « دفاع عن البلاغة » موقفا سأعود إليه . أقول تمهلت لعلى أدرك المغلق من الرموز ، وأحل عقد الطلاسم والأحاجى . وإلى القارىء المقطوعة « البشريه » أو القصيدة « الفارسية » وعنوانها « الشاطىء الحافل » .

« أنا السيد الأعلى للشاطىء الحافل ، إليه من مواغل الأرض تقبل الضمائر ذوات الرغبات الحساس ، عاجزات ، حيارى ، فتموت .

« فى اللجة يمتد سلطانى . فراشى رجراج بالآمى ، فيه يقترن الفكر بالنوص . ولا مناص لأحدهما عن الآخر ، هنا الحياة .

« حياة وعبث رشيق بالموت الحقير ، شاعر أزلى ذو أنامل ماهرة ، يبغى التلهى عن غصة الزخارة ، فيلعب لعب الشعوذ بأوعية ذهب ، ترقد فيها إلى غير إفاقة ، ضمائر لا عظمة عندها .

« يا للعلم الباللانهاية ! سير لأقصى اللاطف الشارد » فى زرقة الفضاء ، ذات الحدقات الصوافى ، تنور الشاطىء الحافل بوفات

الرغبات » ماتت فى ركن موقوف للقوافى الخوالد ، قوافٍ نسل فى ساعات الاستجمام ، فى ضمائر لا عظمة فيها ولا فور »

القاهرة ٣ فبراير ١٩٤٥ بشر فارس

هل أنصت النظار أيها القارىء فى هذه الخريدة التى فجرها ذهن الشاعر المقلق الدكتور بشر فارس ؟ هلا استغنيت عن المعنى والشعور والموسيقى بعد أن قام الشاعر الرمزى المغلق « بابراز المضمر ، واستنباط ما وراء الحس من المحسوس ، وكيف يكون تدوين اللوامع والبواده » ؟ أما أنا فأعترف لك صراحة بأنى عصرت يا فوخي ؛ وكددت ذهنى ، واجتهدت فى تحميل اللفظة والكلمة والجملة والشطرة الواحدة وعلامات الاستفهام أو التعجب وكل حركة وردت فى هذه « المقطوعة » ما تحمل وما لا تحمل من المعانى بنية الاهتداء إلى « مالا يحتاج إلى شرح » كما قال أحد مطايا الرامز » ؛ ولكن أقسم أنى لم أفهم ، وهل ألام على جهلى حل الألغاز ، وأى تثريب على من لا يفقه الطلاسم والأحاجى ؟

لا يهولنك أيها القارىء أن تكون غبيا مثلى ، اعلم بأن صديقى — يحفظه الله — هالته بلاهتى ، فراح يربت كتفى ، ويطيب خاطرى ، ويشرح لى « المقطوعة » بغير ماعناء أو تكلف كأنه يقرأ للمتنبى أو البحترى أو ابن الرومى ولكنه قطع أربع ساعات فقط فى هذا الشرح والتفسير والتخمين والاستنتاج . وإليك الشرح كما وعته ذاكرتى .

« أنا السيد الأعلى لشاطىء هذه الحياة التى تمج فيها الضمائر والرغباب الخسيسة ، العاجزة الثيرة الميتة .

« أنا السيد يمتد سلطانى على لجج النهر الحافلة بالمآسى التى لا مناص من وجودها فى الحياة لأنها تقترن بفكرى .

« أنا شاعر أزلى أعبث عبثا رشيقا بالحياة وبالموت الحقير ، وأتلهى بقصص الناس ، وألعب لعب الشموذ بهؤلاء الناس العظماء بالمال فقط ، بيد أن ضمائرهم ليست عظيمة ، وهم النيام أبداً وقد لا يفيقون .

ثم يتوجه بالخطاب إلى العلم فيقول « يا العلم ! باللانهاية أين أنت ؟ ها أنا الشاعر ، أسير الحكمة الشاردة فى الفضاء فأوى بعينى الباصرة وبصيرتى الصافية ، رفات ورمم أصحاب الرغبات الخسيسة ملقاة فى ركن عند حافة شاطىء الحياة ، وقد اتخذت منها ، أنا الشاعر الأزلى ، فى ساعات استجمامى موضوعا لبعض قصائدى الخالدة »

هل انبثق النور الرمزى من كوى هذا الشرح ؟ هل تسللت خيوط شمس المعرفة إلى ذهنى فأنارت ما فيه من الظلام ؟ قلت للشارح المجتهد وهو صديق كريم أحبه وأجله وأعتز بصداقته ، لا عليك فى الاجتهاد فى التفسير والتاويل بشرط ألا تحملنى على الاعتراف بطيب مذاق عصير المسيخ .

قال : أول واجبات الناقد نفس نقائض النقود لا نقائصه . أليس نقيضا تشبيه اللجة بفراش رجراج ؟ أليس جميلا عبث الشاعر بالحياة بأنامل ماهرة عبثا رشيقا بالموت الحقير ؟ ألم تره يلعب لعب الشموذ ليستل القوافى الخوالد ؟ ثم لا يقرب عنك أن القصيدة إنما هى صرخة وجع وألم ، وإذا عدت معى نستعرض حياة الدكتور بشر فارس من خلال الأعوام الماضية نجد أنها لقيت من الصدمات ما لا يحتملها سوى شاعر جبار كبشر ، ولا يصمد لمثلها إلا من قدت أعصابه من صخرة صوانة . ألم تر كيف حورب فى أدبه ، وكيف أقصى عن المقعد فى الكلية ، وكيف دفع عن المجمع اللغوى ، وكيف أبعد عن تحرير المقتطف ؟ إذا عرفت هذا وقدرت احساسه وشعوره قدرت ولا شك معنى هذه الصرخة المكبوتة والقصة المخنوقة ، ولكنت قرأت وفهمت ما قرأته أنا وفهمته ! !

أقف من صديقى وقفة المشدوه حيال هذا الاجتهاد فى التخريج ، والتعسف فى التأويل ، أو أنى تارك تعليل صديقى لفطانة القارىء لعله يقتنع بما لم أقتنع به بعد ، وإنى حيا بصديقى الكريم وتطمينا لباله أقول إنه ما من أديب واحد ممن تصدوا لأدب الدكتور بشر فارس ، أو حاربوه أو سخروا منه ، أحس أن فى هذه المقطوعة المختنقة ، ما يمسه من قريب أو من بعيد ، لأن الضمائر المستترة أو المدفونة فى صدر الشاعر إنما هى حشرات تدب فى رمة ، ولا تنس أن القصيدة نظمت سنة ١٩٤٥ .

قيل لنا إن الشعر بيان يكشف لنا أقنعة المعانى ، وأن مدار غاية الشاعر الفهم والافهام ، والافهام لا يكون إلا بالبيان »

أما الشاعر بشر فيرى أن الشعر « طيرة مرتجلة بأجنحة من نور رفاف » فأى القولين هو السليم المدرك ؛ قول الأساتذة القدامى أم قول الدكتور ؟ !

قال الأستاذ ابراهيم الابيارى يعرف الشعر الرمزى وينافح عن الشاعر الرمزى « لايهولنك أن يعنى فكرك » ويكد خيالك ، ويجد عقلك ، فلهذا كله خلقت الرمزية » ويقول « إذا عرفت اللغز وحيانه عرفت الرمزية فى الصورة » ويقول لافض فوه « المراد بالرمز أن يعمى بك الرمز إلى آخر اللطائف تاركا لعقلك أن يلتمس السبيل إلى مراده كداً جاهداً » بيد أن الناقد جول لمتر يقول « الصورة الرمزية لا تصبح برهانا على الشاعرية إلا حينما يكيفها هوى سائد أو أفكار أو صور بعثها ذلك الهوى » وحينما ينقل إليها الشاعر من روحه الخاصة حياة إنسانية وذهنية » فهل رمز بشر فارس يرمى إلى إجهادنا وكدنا وارهاقنا أم يروم بهأن ينقل إلينا من روحه الخاصة حياة انسانية وذهنية فخاب فى هذه المحاولة؟

الشعر كما عرفنا تعبير عاطفى يضرمه خيال الشاعر » قال الناقد هزلت : الشعر لغة الخيال بالمعنى الدقيق ، والخيال هو تلك القوة التى تمثل الأشياء لا كما هى فى نفسها ولكن كما تكيفها أفكار ومشاعر أخرى ، إلى تنوعات من الهيئات وامتزاجات من القوى لا نهاية لها ، وليست هذه اللغة قليلة الأمانة للطبيعة لأنها باطلة من ناحية الواقع ، ولكنها تكون أقرب إلى الطبيعة وأكثر أمانة إذا نقلت التأثير الذى يتركه فى العقل الشىء الواقع تحت سيطرة الهوى » .

هل فى مقطوعة « الشاطىء الخالى » أو فى لغتها أمانة للطبيعة انتقل تأثيرها إلى عقل القارىء فحملته على الاتصال بالنفس الانسانية فجعلت القارىء يسر بها ويفرح ؟

هل الرمز فن ؛ وهل يصلح الرمز أن يكون أداة للتعبير عن الفن ؟

مالى أسأل الشاعر الرمزى عما نحاه فى طريقه وعداه من معجم ما سموه الشعر لأن الشاعر الرمزى كما يقول الدكتور بشر « إنما يعمل فى الظلمة ، ظلمة الخالجات ، فهو يبين بقدر ما يخلص النور إلى زواياها ، ثم إنه لقاط أوهام تشغل الناس ولا يستوضحونها ، فهو يرسم خيالات ملامحها لبصائرهم لا لأبصارهم »

مالى أرى الدكتور بشر السهمى فيرمى القمر ؟ مالى أدعوه إلى السير فى النور فيأبى إلا التخبط فى الدياجير الحالكة ، يتطلب من الشوك عنبا ومن العوسج تينا « كما قال السيد المسيح » وهو يتوخى أن يعكس التهاويل على أخيلته سحباً شفافة تنقشع عن جبريل عصرى ينقل إلى الدكتور بشر فارس « الوحى » العبقرى من ينابيعه السماوية ؟ ما باله يتعامى عن الطبيعة وعن الحياة الانسانية ويأبى الا رسم « ظلمات » الخلجات التى تعتلج فى صدره ؟

يحسن بى الانتقال من موقف التخصيص إلى موقف التعميم لأسأل : ما هو الارث الأدبى الخالد ، وما هو الأثر الذى تركه الشعر الرمزى فى تاريخ الأدب ؟

حكى أن شاعرا اسطوانة من أساطين الرمزية أنفق ستة أعوام من عمره فى نظم قصيدة واحدة ، وأن مطية من مطايا الشعراء الرمزيين كرس تسعة أشهر لحل طلاسم تلك المعلقة ، وقد استطاع ذلك الشارح — يرحمه الله — أن يفسر الماء بعد الجهد بالماء .

يودى لو أطيل الكلام وأسوق الأدلة ، وأستشهد بأقوال كبار النقاد الغربيين فى فساد المدرسة الرمزية ، ولكن لا يسعنى إلا لفت نظر الأدباء إلى فصل رائع فى الرمزية ورد فى كتاب « دفاع عن البلاغة » للأستاذ الزيات صاحب « الرسالة » جاء فى ختامه : « الرمز نوع من الحذلقة والأغراب يصيب بعض النفوس الماجنة فيجدون لذتهم وفكاهتهم فى أن يقربوا على عقول السذج بهذه الألفاظ الفارغة والجمل الجوف ، وأن يروم يحملقون فى الفواصل وفى الأبيات كما يحملق الأطفال فى الغرفة المظلمة أو فى البئر المعطلة . وسواء أكان منشأ الرمزية عندنا هذا الأمر أو ذاك ، فقد اقتبسوا مذهبها حين أصبح ضرباً من المماياة يجوز أن يقصد به أى شىء ماعدا الافهام والابانة . وسأضع أمام عينيك مثالين من هذه الرمزية الغريبة أحدهما قصيدة للدكتور بشر فارس عنوانها « إلى زائرة » ، والآخر مقال للأستاذ البير أديب عنوانه « حياتنا » ؛ وسأدع لك الوقت لتمتحن صبرك على كشف هذه الرموز وحل هذه الأحاجى . وان أسألك عما فهمت ، فإنك إن أجبت فان جوابك لن يزيد على جوابى ، وان أخطأت فان خطأك لن يختلف عن صوابى »

ليس هذا إلا بعض ما أريد قوله فى المذهب الرمزى ، وفى مطايا الرمزيين الذين يؤجرون أقلامهم وضمائرهم لخدمة الباطل فى الأدب ، وسأعود إلى الكلام مرة ثانية .

حبيب الزحلاوى

تطور اللغة العربية

للأستاذ محمود محمد بكر هلال

جاءني مبهور الأنفاس، مسجور الحماس، كأنه خارج لتوه من معركة حامية الوطيس، ثم قال لي:

لقد حذفتها بالقلم الأحمر، وطمست حروفها فلن تظهر!

فقلت له: ماذا حذفت، ومن هي التي طمست على قلبها؟!

قال: كلمة «زهور»! فلقد كتبها التلميذ في موضوع الإنشاء، ولكنني فتشت عنها كثيرا، ونقبت عنها طويلا، فلم أعثر لها على أثر!!

فقلت له: هون عليك يا صديقي؛ فالأمر أهون كثيراً مما تظن! ولست أغير على اللغة العربية من فقيد اللغة العربية؛ الأستاذ المرحوم مصطفى صادق الرافعي! ولست أكثر حفاظا عليها من أستاذنا الكاتب البليغ، أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة، وعضو المجمع اللغوي الملكي؟

قال: ماله الرافعي؟ قلت: لقد قال رحمه الله: عرض لي يوما أحد اللغويين فانتقد في المقطم قصيدة من القصائد التي رفعتها إلى جلالة الملك فؤاد، وتعجل في نقده، ودلل ببعض ما نقله من كتب اللغة، فكان فيما تكلم فيه «لفظا الأزاهر والورود» فقال: إنهما ليسا من اللغة، ولم يجريا في كتبها. وكان من ردي عليه أن قلت له: إن العرب جمعوا الجمل ستة جموع، وجمعوا الناقة سبعة؛ لأنها أكرم عليهم منه. وإن لكل حياة صورها الدائرة في ألفاظها؛ فالزهر والورد عند المولدين والمحدثين، أكرم من الجمل والناقة عند العرب، أو هذان كهذين. ثم هما من خاص الألفاظ المولدة؛ فلنا أن نجمعهما على كل صور الجمع التي يسوغها القياس؛ لأن ههنا العلة الموجبة التي لم تكن مع العرب فيهما. فمن الصحيح أن نقول: زهور وأزهار وأزاهر وأزاهير إلخ ... فلما لقيت الدكتور يعقوب صروف، بعد نشر هذا الرد هنأني به، ثم قال فيما قال: يحسبون أن العرب هم الجمل والناقة، وليس غيرهما استجمل وما استوق ... ! أما هذا الدهر الطويل العريض، فليس عندهم شيئا! وهم يستطيعون أن ينكروا على المولدين ألف كلمة ولكن هل في استطاعتهم أن ينكروا على التاريخ ألف سنة؟ فذكرت له الأصل الذي قرره أبو علي الفارسي، في العربي الصحيح نفسه: من أنه ليس كل ما يجوز في القياس يجب أن يخرج به سماع؛ فإذا أخذ إنسان على طريقة العرب، وأم مذهبهم؛ فلا يسأل: ما دليله، وماسماعه، وما روايته؟ ولا يجب عليه من ذلك شيء.

حتى قال أبو علي: لو شاء شاعر أو متسع أن يبني بإلحاق اللام «زيادة حرف من جنس لام الكلمة وإلحاقه بها» اسما وفعلا وصفة؛ لجاز له ولكان ذلك من كلام العرب؛ وذلك نحو قولك: خرجج أكثر من دخلل، وضربب زيد عمراً، ومررت برجل ضربب وكرمم ونحو ذلك! قال تلميذه ابن جني: فقلت له: أترتجل اللغة ارتجالا؟ قال:

ليس بارتجال، لكنه مقيس على كلامهم، فهو إذن من كلامهم!

ومن أثر هذه الطريقة التي لا تتحجر، ولا تمنع القياس في اللغة، وتلحق ما وضعه المتأخرون بما سمع من العرب، ما جاء في ص ٢٣٥ من شرح أدب الكاتب لابن قتيبة وهو باب لم يستوفه غيره، ولا تجده إلا في كتابه! وهذه عبارته: قولهم: يدى من ذلك فعلة: المسموع منهم في ذلك ألفاظ قليلة، وقد قاس قوم من أهل اللغة على ذلك فقالوا: يدى من الإهالة سنخة، ومن البيض زهمة، ومن التراب تربة، ومن التين والعنب والفواكه كتنة وكدة وزجة، ومن المشب كتنة أيضا، ومن الجبن نسمة، ومن الجص شهرة، ومن الحديد والشبه والصفر والرصاص سهكة وصدئة أيضا، ومن الحماة ردغة ورزغة، ومن الخضاب ردعة، ومن الحنطة والعجين والخبز نسغة، ومن الخل والنبيذ خمطة، ومن الدبس والعسل دبقة ولزقة أيضا، ومن الدم شحطة وشرقة، ومن الدهن زنخة، ومن الرياحين ذكية، ومن الزهر زهرة،

ومن الزيت قنمة ، ومن السمك سهكة وضمرة ، ومن السمن دسمة ونسمة ونمسة ، ومن الشهد والطين لثقة ، ومن المطر عطرة ، ومن الغالية عبقة ، ومن الفسلة والقدر وحرة ، ومن الفرصاد قنئة ، ومن اللبن وضرة ، ومن اللحم والمرق غمرة ، ومن الماء بلة ، وسبرة ، ومن السمك ذفرة وعبقة ، ومن النتن قنمة ، ومن النفط جمدة .

فأنت ترى أن المسموع من هذه الألفاظ ، لا يجاوز سبعة ، والباقي كله أجراه علماء اللغة ، وأهل الأدب على القياس ، فأبدع القياس أربعا وثلاثين كلمة ! فدل ذلك على اتساع اللغة تبعا لتعدد الأغراض ، وتطورها تمشيا مع تطور الحياة !!

قال صاحبي : وما رأى صاحب الرسالة الأستاذ الزيات ؟

قلت : لقد تقدم إلى المجمع اللغوي باقتراح يشتمل على ؛ فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المعروفة من الارتجال والاشتقاق والتجوز ؛ وإطلاق القياس في الفصحي ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، فإن توقف القياس على السماع يبطل معناه ، وإطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ؛ ليشمل ما يسمع من جميع طوائف المجتمع !

ورأى صاحب الرسالة أن في إقرار هذا الاقتراح دفعا لمرة العقم عن اللغة العربية الكريمة التي وصفت في القرن الخامس ناقة طرفة ، عضوا عضوا ، ونعتت أوضاعها وضعا وضعا ، في أربعة وثلاثين بيتا من معلقته ! ثم نراها في القرن العشرين ، تقف أمام سيارة « فورد » بكاء بلهاء ، تشير ولا تسمى ، وتجمجم ولا تبين !!

ويقول صاحب الرسالة أيضا : إن اللغة ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهي ، والمعاني لا تنفد ، والناس لا يستطيعون أن يعيشوا خرسا وهم يرون الأغراض تتجدد ، والمعاني تتولد ، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع ، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح ، ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدر المحصورين في حدود الزمان والمكان ، لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء ، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء !!

ويرى الأستاذ الزيات — ورأيه سديد — أن المجمع وحده السلطة التشريعية العليا للغة العربية ، يستطيع في حدود قواعدها الموضوعة ، وقوالبها الموروثة ، أن يزيد عليها وينقص فيها ، ولكنه يعطل مختارا هذه القدرة التي لم يؤتها غيره ، باستشارة القدماء في كل إصلاح لغوي يقترحه ، وفي كل قرار نحوي يقرره ! واستشارة الماضين في شئون الباقين ، مع تبدل الأحوال ، وتغير الأوضاع ، وتقدم العلوم ، وتفاوت العقول ، واختلاف المقاييس ، تكون في أكثر الأحيان معطلة أو مضللة !

ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أن منافقا نال من عروبة سلمان الفارسي ؛ فدخل المسجد مغضبا وقال : أيها الناس : إن الرب واحد والأب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي !

وما إن وصلت إلى هذا القدر من الآراء الحقة الجريئة ، والأفكار المشرقة الوضيئة ، من اقتراح الأستاذ الكبير صاحب الرسالة ، حتى قفز الزميل فاه ، وقال : ولكن حضرات المفتشين يضيقون علينا الخناق ، ويحاسبوننا على هذه الكلمات ، ويفرضون علينا بعض الأساليب والعبارات ! حتى لقد حدا الخوف ببعض أساتذة اللغة العربية ، في المدارس الثانوية ، إلى أن يتحيروا ويبدلوا في قصيدة الأستاذ محمد الأسمر « فرحة الشرق » بعد أن سمعها الناس مسجلة في الشرق والغرب آلاف المرات ، فجاء مطلعها في مذكرة النصوص للسنة الأولى الثانوية هكذا :

زهر الربيع يرى أم سادة نجب وروضة أينعت أم محفل عجب ؟

واستبدلوا كلمة حفلة بكلمة محفل ؛ لأن بعض المفتشين لا يقر كلمة « حفلة » لعدم ورودها في معاجم اللغة العربية !

فقلت له : وهل يتسع وقت حضرات المفتشين لغير المحاسبة على النقط والهمزات ، وترك الأسنان وزيادة الألفات ؟!

محمود محمد بكر حمزاوي
المدرس بمدرسة سوهاج الأميرية
القديمة للبنين

ذكرى أبي الأسود

للاستاذ حامد حفني داود

إن ذكرى وفاة أبي الأسود الدؤلي تبعث إلى الذاكرة ذكرى خطيرة هي تدوين «علم النحو» وهو أول ما دون من علوم العربية. ولا أكون مبالغاً إن قلت أول ما دون من العلوم قاطبة في الإسلام.

وهي بهذا القدر ذكرى عزيزة علينا تحرك النفس وتجدد الأمل إلى دراسة «تاريخ علوم اللغة» التي طالما نادينا بتحقيق دراستها، ولاسيما وأن المستشرقين أنفسهم — بعد أن رسموا بعض المناهج في دراسة — «تاريخ الآداب العربية» عجزوا عن تأريخ علوم اللغة، وفي مقدمتها تأريخ علم النحو. ولعل ذلك راجع إلى ما بين تاريخ هذا العلم ونفسية العربي الخالص من صلة قوية فلا يتم تأريخه بدون تحقيقها. أريد أن أقول: إنه لا يستطيع تأريخ هذا العلم الا عربي عارف بأسرار اللغة وقواعدها التشعبة دارس لها دراسة المحص المدقق، ملم بكل ما وصل إلى أيدينا من تراث الأقدمين وذلك ما دفعني إلى إحياء ذكرى ابي الأسود علنا من ذكراه نستلهم درات تاريخ العلوم العربية [1]

* * *

في سنة ٦٩ هـ منذ الف وثلاثمائة سنة توفي أبو الأسود الدؤلي وقد كان علما من أعلام العربية ورجلا من رجالاتها السابقين الذين وضعوا الأسس ودونوا المسائل. وقد كان تلميذاً للامام علي بن أبي طالب، وعنه تلقى كثيرا من المسائل الدينية والعربية قبل أن تصبح علوماً مبوبة على النحو المصطلح عليه عندنا.

وبعد وفاة الإمام علي سنة ٤٠ هـ مكث أبو الأسود في العراق وكان من أوائل المتصدرين لدراسة علوم العربية والبحث في مسائلها. ولكنه اشتهر بوضع «علم النحو» وإليه نسب وضعه.

* * *

وحول أبي الأسود دارت خلافات كثيرة من حيث وضع علم النحو وطريقة وضعه.

فقد شك بعض العلماء في نسبة وضع النحو إليه. فمن قائل إنه أول واضع له، ومن قائل إن واضعه نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هـ، ومن قائل أنه الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٠ هـ. وذهب علماء الشيعة إلى أن الإمام علي هو الواضع لعلم النحو.

وتخبط بعض المحدثين في تعيين الواضع الأول متأثراً بما ذكره ريكندورف Reckendorf في دائرة المعارف الإسلامية حيث نفى ذلك بقوله «وليس حقاً ما يقال إنه واضع أصول النحو العربي» [2] وظن هؤلاء أن واضعه الخليل بن أحمد. وهو قول مردود بالأدلة العقلية والنقلية.

الدليل الفعلي: أن المنهج العلمي ينص على «أن الأدلة العلمية لا توصف بالبطلان مالم تقم الأدلة القطعية على بطلانها.» فتحقيق المسائل العلمية في نظر المنهج العلمي هو البناء لا الهدم. بينما يأخذ أمثال هؤلاء المتخبطين بالقوانين الهدامة التي ابتدعها فرنسيس بيكون Francis Bacon واحتذاها المستشرقون من بعده. فأنت ترى أن شعار هؤلاء بطلان كل شيء ما لم يقم الدليل التجريبي على صحة المبطل [3] بينما شعار المنهج العلمي الذي وضعنا أسسه التصديق بالقضايا العلمية المروية عن القدماء مالم يقم الدليل المادي على بطلانها [4]. وشتان ما بين المذهبين. فالفرق بينهما — كما ترى — كالفرق بين من يبني ومن يهدم.

---

(١) لصاحب هذا المقال مؤلفات مفردة في تاريخ العربية منها:

١ — المنهج العلمي في تاريخ العلوم العربية. تاريخ البديع من القرن الثاني إلى أواخر القرن الرابع عشر.

(١) وقبل سنة ٦٧ هـ وقبل سنة ٦٨ هـ والراجح ما ذكرناه.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٣٠٨ س٦

(٣) وهو قانون خطأ لأن التجربة غير ميسورة في كل وقت؛

(٤) سواء بالنص المعارض أو بعض عدم تقبل العقل النصف لها.

والدليل النقلي : تواتر الرواية القديمة على نسبة الوضع إلى أبي الأسود وليس هناك أحد من القدماء والمتأخرين من أنكرها. وليس بعد قصة أبي الأسود مع علي ، وقصته مع زياد بن أبيه ، وحديث إبنه أبي حرب من دليل نقلي . وقد قال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ « أبو الأسود معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها، كان معدودا في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاء والنحويين ... »

ولم يبق هناك من خلاف بين القدماء إلا فيما إذا كان أبو الأسود تلقى هذه الأصول من الإمام علي أم اعتمد فيها على دراسته الخاصة — لدوافع مختلفة سنتحدث عنها في فرصة أخرى — ولعل ذلك لا يعني أن يكون أبو الأسود واضع علم النحو بارشاد الإمام دفع إليه ورقة فيها أصول ذلك العلم ثم قال له : انح هذا النحو فسمي ما وضعه نحواً .

وإلى مثل هذا ذهب الشيخ خالد الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥ هـ « وقد تضافرت الروايات على أن أول من وضع علم النحو أبو الأسود وأنه أخذه أولا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه »(١)

وقال الشيخ عبد القادر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ « وهو واضع علم النحو بتعليم علي رضي الله عنه »(٢)

فكأن أبا الأسود وضع هذا العلم مستنيرا بالأصول التي دفعها إليه الإمام . ومن هنا نرى أن الخلاف بين آراء الشيعة وآراء غيرهم شكلي محض لا يمس الجوهر . فنسبة النحو إلى علي نسبة الموجه والمرشد، ونسبته إلى أبي الأسود نسبة المدون والواضع .

والخلاف الثاني : ما هي الأصول الأولى التي نسج أبو الأسود على غرارها وما هي المسائل التي عالجها في كتابه الأول، وما طريقة ذلك ؟

ظن كثير من العلماء أن أبا الأسود كان يجيد السريانية ، وكان يخالط السريان والكلدان في أرض العراق، وقد كان للسريان نحو قريب الشبه من نحونا وقواعد تشبه قواعد العربية ، وكلاهما من اللغات السامية . هذه ظنون جالت بأذهان المفكرين ممن حاولوا التفكير في تاريخ علوم اللغة . فقالوا : إن أبا الأسود درس اللغة السريانية واستنبط قواعدها وطبقها على اللغة العربية . ويدعم هذا الرأي عذرهم أن قواعد اللغة السريانية وضعت في القرن الخامس حين وضع يعقوب الرهاوي المتوفى سنة ٦٦٠ م كتابا في قواعد السريانية ، بينما وضعت قواعد اللغة العربية في القرن السابع . وإذا كان أبو الأسود قد توفي سنة ٦٨٩ هـ تقريباً عرفنا أن محاولة تدوين قواعد العربية كانت بعد أكثر من قرنين من المحاولة الأولى التي أجريت على السريانية .

والراجح في نظر المنهج العلمي أن أبا الأسود لم يتأثر بالسريانية ولم ينقل شيئاً من قواعدها إلى العربية ؛ وأن التشابه بين اللغتين مردود إلى ما بين طبيعة العربية وطبيعة السريانية من صلة — وانتمائهما إلى أصل واحد هو اللغة السامية . ويعزز هذا الرأي الذي ذهبت إليه نماء النحو في اللغة العربية وجموده وانكماشه في اللغة السريانية وغيرها من الفصائل السامية الأخرى . كما أنه ليس هناك من دليل مادي يؤيد دعوة المخالفين وهي دعوة ظنية لا يعتد بها المنهج العلمي .

فنحن لا ننكر نسبة وضع النحو إلى أبي الأسود لأنه ليس هناك من دليل مادي يرد هذا النقل ، ونرفض كل الرفض تأثره بالسريانية لأنه ليس هناك دليل مادي يؤيد هذا الظن .

هذه ذكرى أبي الأسود — وقد مضى على وفاته ثلاثة عشر قرنا. وإني لأرجو أن تثير في نفوس المفكرين الحية إلى دراسة علوم اللغة دراسة تاريخية تفصيلية . وإني لأرجو أن أعيد هذه المحاولة في « تاريخ النحو » وقد بدأت مثيلتها بالأمس القريب في « تاريخ البديع » .

حامد مفتي داود الجرجاوي

دبلوم معهد الدراسات العليا

١ — التصريح للشيخ خالد ج ١ ص ٦

٢ — خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٥٦

احتكاك الحضارات

للاستاذ محمد محمد علي

بقية ما نشر في العدد الماضي

الطرق غير المنظورة

تنتشر الحضارات بين الجماعات البدائية بطريق الاحتكاك الابتدائي أو الأساسي ، ولكنها تنتشر بين المتحضرين بطريق الاحتكاك الثانوي والأساسي أيضا (١)

الاحتكاك الأساسي : ويتمثل في حركات السياح والرحالة والمهاجرين والجوالين .

١ — السياح

وهم يعبرون عما أطلق عليه توماس الرغبة في تجديد التجربة ، لا أنهم من طبقة عليا — وتتلخص أعمالهم في زيارة الأماكن ذات الشهرة الواسعة ولا سيما الآثار المصرية القديمة . ويتحدثون إلى الناس ويتعرفون على أحوالهم ويدرسون حياتهم في مختلف نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والسياسة والدينية ، ثم يعودون إلى أوطانهم بنظرة إلى الحياة جديدة وأفكار حديثة فيؤثر ذلك في التقاليد والنظم المختلفة . وقد كان للسياح أثر عظيم في احتكاك الحضارات وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ — الرحالة

هناك حركة من جزء إلى آخر في نفس الإقليم ، كحركة الفلاح الأمريكي من شرق الولايات المتحدة إلى غربها ، وهي تحدث أزمة في الحياة الشخصية إذ تولد رغبة في تغيير النظم والعادات . وهناك تنقلات من الريف إلى المدن وهذه آخذة في الزيادة حتى أن أكثر من نصف سكان الولايات المتحدة يعيشون في المدن ، وكذلك الحال في كثير من البلدان الصناعية . فالمدينة عبارة عن بوتقة تنصهر فيها الآراء وتختلط العناصر .

(١) Duncan, p.p. 176, 177.

٣ — المهاجرون

إن اكتشاف العالم الجديد وتقدم الملاحة البحرية قد زاد من الهجرات وضاعف المهاجرين . وتتميز الهجرة عما سواها من الحركات بأنها سلمية ، وهي استجابة لدافع الرغبة في تحسين الأحوال الاقتصادية (١) والظروف الاجتماعية ، وغالباً ما يكون للأقليم الجديد « جاذبية » اقتصادية واجتماعية . وكلما عظمت درجة التشابه والاندماج زاد الميل إلى التزاوج الداخلي ويخلق المهاجرون في مهجرهم مشكلات اقتصادية وسياسية ودينية ، الأمر الذي دعا الولايات المتحدة الأمريكية إلى تقييد قوانين الهجرة فقسمت المهاجرين إلى ثلاث طبقات : المرغوب فيهم بلا قيد ولا شرط مثل سكان غرب أوربا ، والمرغوب فيهم بشروط مثل سكان بقية أوربا ، وغير المرغوب فيهم وهم العناصر الصفراء ، كما حددت لكل دولة عدداً سنوياً من المهاجرين . ولا ينبغي أن ننكر ما للمهاجرين من فوائد (٢) . فقد نقل المهاجرون إلى أمريكا — مع ما نقلوا — الأفكار الديمقراطية والتسامح الديني وحب الحرية ، فكانوا عوامل فعالة في النزاع بين المستعمرات ثم في الكفاح لنشر فلسفة الثورة الأمريكية بين الطبقات (٣) وكما ينقل المهاجرون معهم محاسنهم كذلك ينقلون مساوئهم .

واللبنانيون أكثر أهل الشرق حباً للهجرة ورغبة في المغامرة ، ولهم جاليات نشيطة في الأمريكتين ، واصل الظروف الجغرافية أثراً في ذلك . ويحدث أحيانا أن يعيش المهاجرون في عزلة عن السكان الأصليين فيقوى عندهم الميل إلى الاحتفاظ باللغة والدين والتقاليد ، ويرفضون التزاوج مع السكان . وهذا بطبيعة الحال يضعف من احتكاك الحضارات (٤) . ولكن بعد مرور فترة من الزمن نرى المهاجرين يجنحون إلى الاختلاط وينبذون حياة العزلة .

الاحتكاك الثانوي :

لا شك أن لسهولة المواصلات والمخترعات الحديثة أثراً كبيراً في احتكاك الحضارات . فقد نتج عن ذلك مثلا إمكان « التعليم

1, Davie : World Immigation, 1936, p. 5.
2. Duncan, p. p. 184-186.
3. Davie : p 40
4, Ibid p 39

بالمراسلة » الذى ظهر حديثا . كما لعبت الصحافة والإذاعة دوراً عظيما فى هذا المضمار . وللأدب أهمية كبيرة ، إذ أن الانسان لا يتعلم لغة قوم إلا إذا أخذ فكرة عن حضارة هؤلاء القوم (١) وفى العصور الوسطى أثرت الآداب العربية فى عقول أهل أوربا وأفكارهم ، فكان لذلك أكبر الأثر فى نهضة أوربا الحديثة .

واللغة الانجليزية أكثر اللغات انتشارا . فقد قدر أحد العلماء فى عام ١٩١٠ عدد المتكلمين بالانجليزية بنحو ٢٧٪ من سكان هذا الكوكب (٢) وأكثر من نصف جرائد العالم تطبع بها .

ولما اخترعت أوربا البخار سهل السفر فى قطارات البر وسفن البحر وزاد اختلاط الغرب بالشرق . ولا تقتصر فوائد المخترعات على المنطقة التى اخترعت فيها بل إنها تعم بقاع العالم : ومن أهم ما استفادت منه الانسانية المكتشفات الحديثة فى الطب . وكم أفضل الغرب على الناس أجمعين بمطعوم الجدرى وكان يهلك به أطفال كثيرون (٣) . وكم من خدود جميلة بيثوره تشوهت .

نتائج الاحتكاك

ينتج عن احتكاك الحضارات نوع من التفاعل ، فليست المسألة استعارة ، بل هنالك ظاهرة ديناميكية .. غليان ثورة ...! فحيثما ينتقل تيار حضارى إلى مجتمع من المجتمعات ، فلا بد من أن يواجه مقاومة فى أول الأمر . وتعتمد هذه المقاومة اعتماداً كبيراً على عاملين (٤) : طبيعة المجتمع ، ومظاهر الحضارة الجديدة . فبقدر رقى المجتمع تكون مقاومته للمؤثرات الجديدة ، وهى قليلة فى المجتمعات البدائية . ويلاحظ أن النواحى الروحية من الحضارة تلاقى مقاومة أكثر من النواحى المادية . لأن الإنسان سريع فى اقتباس وتقليد النواحى المادية (٥) . على أن المظاهر الجديدة يسهل اقتباسها إذا كان هنالك ما يستدعى الاقتباس وتغيير العادات

ويمكن تلخيص نتائج احتكاك الحضارات فيما يأتى : (٦)

١ — اختلاط وامتزاج بين الحضارة الأصلية والحضارة الجديدة ونشوء حضارة حديثة . مثال ذلك ما كان يحدث فى مصر بعد الغزوات المختلفة التى كانت مصر سريعة فى هضمها . وما حدث فى أمريكا فى العصور الحديثة .

٢ — تلاشى الحضارة الأصلية وذلك فى المجتمعات البدائية بسبب الانقلابات التى يحدثها المتحضرون .

٣ — أن تقتبس الحضارة الأصلية من الحضارة الجديدة ما يلائمها وهذا خير المواقف فى احتكاك الحضارات . وحبذا لو كانت مصر فعلت ذلك إزاء احتكاكها بالحضارة الغربية . ولكن هل فى استطاعة الأمة أن تقوم بذلك ؟

٤ — المقاومة : وهذه قد تكون إيجابية أى ثورة على الجديد . أو سلبية وفى ذلك إبقاء على مقومات الحضارة الأصلية ، مثال ذلك ما فعله المصريون بعد غزوة الهكسوس وغزوة الفرس ، إذ أنهم أنفوا من تقليد الغزاة . ويحدث هذا بسبب العداء بين الطرفين أو فى حالة الفرض بالقوة . لكن مصر لم تستطع أن تصمد أمام القوة بعد الفتح التركى فى القرن السادس عشر ، ففرضت عليهم الحضارة الجديدة ، وضاعت بذلك شخصية مصر حتى ظهر محمد على الكبير .

أمثلة : الحضارة الإسلامية (١)

ضرب الإسلام بجرانه وانتشر المسلمون فى بقاع الأرض ، ودخل الإسلام أمم كثيرة من أجناس مختلفة وعناصر متباينة . فكانت ساحة الامبراطورية الإسلامية فى العصر العباسى الأول وعاء تصهر فيه العناصر وتتفاعل فيه الأجسام . هذه الأمم تختلف فى الصفات الجثمانية وفى الأهواء السياسية والميول الاجتماعية . وكما يحدث تزاوج واختلاط بين الأجناس ، كذلك يحدث امتزاج بين الثقافات واحتكاك بين الحضارات ، فنمت الحضارة الإسلامية على أساس العلم الواسع بكافة شئون الحياة من طب وهندسة وجغرافية ونظام حكم وأدب لغة .. كانت هنالك أربع حضارات : الفارسية والهندية والإغريقية والعربية . وكانت كل ثقافة فى أول

---

١ — هذا رأى الأستاذ دكن . ويمكن القول بوجه عام إن الإنسان يتعلم لغة قوم يستطيع أن يعرف شيئا عن حضارتهم أى أن اللغة مفتاح لمعرفة شىء عن الحضارة . وإن الأطفال يتعلمون اللغة الأجنبية ولا يعرفون شيئا عن حضارتها
2 Durean p 166

٢ — كرد على : صفحة ٣٥٣ — ٣٥٠

4 D Forde : Hibitat Economy and Society 1942 p 460

5 Notes and queries on Anthropology 1929 p 36

« منشورات الجمعية البريطانية لتقدم العلوم

Man6 magasine 1935 No 162 p 140

١ — دكتور احمد أمين بك : ضحى الإسلام : الجزء الأول (١٩٣٨) ص ١٦٩ و ١٧١ و ٢٤٠ و ٣٩٤

الأمر تشق لنفسها جدولا خاصا له طعمه ولونه ثم لم تلبث أن التقت جميعا وكونت نهراً عظيما . وقد التقت فى هذا الميدان الرحيب الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام . واختلف الناس فمنهم من يرد جدولا معيناً ومنهم من ينهل من أكثر من جدول. وقد تمثل امتزاج الثقافات بأجلى معانيه فى ثلاثة أعلام : الجاحظ، وابن قتيبة وأبو حنيفة الدينورى . كان للحضارة الفارسية الفضل فى إنشاء منصب الوزارة وكان غالبا يسند إلى الفرس ، ولم يكن معروفا قبل العباسيين . وتمثلت العادات الفارسيه فى النفوس مثل عيد النيروز ولبس القلنسوة ومجالس اللهـــو والغناء . وقد لاحظ ابن خلدون أن حملة العلم فى الدولة الإسلامية كان أكثرهم من العجم لأن العلوم من الصناعات وهى من خصائص الحضر . ومن هؤلاء سيبويه وأبو حنيفة النعمان وبشار بن برد والكسائى والفراء وغيرهم. أما تأثير الحضارة الهندية فكان فى شيوع الإلهيات (المقالات الدينية) والرياضيات والنجوم والقصص والحكم . ويذهب كثير من الباحثين إلى أن العدد وأضعاف الشطرنج ومنهم أخذ السلمون وانتشر فى العالم . أما عن الحضارة اليونانية فقد كانت هناك مدارس ومراكز ثقافية أشهرها فى الأسكندرية وحران. وقد نقل الكثير من فلسفة اليونان وعلومهم فى الفلسفة والطب والمنطق. ولعل أهم ما نتج عن احتكاك الحضارات ما أخذه الخلفاء من مظاهر الأبهة ودلائل النعيم فى قصورهم ، فكان الخليفة لا يقل عظمة من قيصر الروم أو ملك الفرس .

الاسكيمو (١)

حدث الاحتكاك بين الأوربيين والإسكيمو فى شمال أمريكا الشمالية عن طريق صيادى الحيوانات ذات الفراء . وأقبل التجار ، فباعوا للأهالى أسلحة حديثة أحسن من تلك القديمة فأدى ذلك إلى نقص فى الكاريبو فى جرينلند ودلتا نهر ما كنزى لكثرة الصيد مما أثر فى غذاء الأهالى . وقد أتى الأوربيون بالكماليات مثل الشاى والسكر والطباق والصابون — فضلا عن الأسلحة . ولكى يحصل الأهالى على هذه الأشياء . أصبح لزاما عليهم أن يبيعوا الجلود اللازمة لهم فى حياتهم وأصبحت الحاجة ماسة إلى الخيام واللابس . وفى أثناء الحرب العظمى الأولى امتنعت الموارد الأوربية فلم يجد الأهالى مندوحة عن الرجوع إلى الأساليب الأولى فى حياتهم. وقد لاقوا صعوبات من جراء نسيانهم عاداتهم . ومن أسوأ نتائج الاحتكاك بين الأوربيين والاسكيمو : انتشار الأمراض والأوبئة . ففى منتصف القرن الثامن عشر هلك من الجدرى عدد كبير ، هذا فضلا عن انتشار مرض السل . وليس أدل على فداحة خطر الأوربيين من النقص المريع فى عدد السكان. وامتد شعر الأوربيون بخطرهم ، فأسرعت الدانمرك إلى عقد موانى جرينلند فى وجه البواخر الأوربية لسنوات ممدودات . إذن فاحتكاك الاسكيمو بالأوربيين لم يكن فى صالحهم ولقد قال جرينفول إن إسكيمو لبرادور فى طريق الفناء . وقد بدأت حكومة كندا تولى الأهالى هناك عناية واهتماما إلا أنه يشك فى تعمير الاسكيمو إلى زمن طويل .

زنوج البانتو بجنوب أفريقيا (١)

كان للمبشرين كبير الفضل فى الاحتكاك بين الأوربيين وزنوج جنوب إفريقيا ، إذ عملوا على إدخال المسيحية على أساس القضاء على الوثنية ، وتبع المبشرين التجار وأصحاب الحرف . وقد انقسم الأهالى حيال الحضارة الأوربية إلى ثلاثة أقسام : فريق بقى على حالته الأولى فى مستوى الحضارة الأصلية ، وفريق آخر غالى فى الاقتباس والتقليد. وبينهما فريق ثالث آثر أن يعيش وسطا يأخذ من كل ما يشاء . وتتلخص نتائج الاحتكاك فيما يلى :

النتائج الاقتصادية

١ — تحسنت الأحوال وارتفع مستوى معيشة الفرد .

٢ — سهلت عملية الصيد بسبب وجود البنادق التى جلبها التجار.

٣ — حدوث التبادل بين الأهالى والتجار . يأتى التجار بالبضائع الأوربية ويبيع الأهالى منتجاتهم التى درت عليهم ربحا كريما .

٤ — ظهور صناعات جديدة ، فانتشرت ماكينات الخياطة تعمل عليها النساء فى المنازل .

---

2 Brown "The polar Regions, 1927" pp 154-156

(١) تلخيص للفصل الثانى من :

Schapera Western civilization and the natives of southAfrica 1934

٦ — أخذ الأهالى طرقا جديدة فى المحافظة على حيواناتهم والعناية بها وأصبح الحقن واجبا .

النتائج الاجتماعية

١ — انتشرت اللغة الإنجليزية وذلك عن طريق التعليم .

٢ — تفككت روابط الأسرة بسبب تنقل الأهالى وراء الصناعة ، وكثيرا ما كانت الزوجة تسأم طول انتظار زوجها فتتخذ لها خليلا .

٣ — استنشق الشبان نسيم الحرية مما أودى بالسلطة الأبوية فانغمسوا فى اللهو وركبوا خيل المجون ، وتأنقوا لجذب أنظار العذارى اللائى يقعن فى شباك الإغراء غالبا .

٤ — تغير موقف القبيلة إزاء الفتيات إذ كانت العذراء التى تحمل تلاقى عقوبات شديدة وتذوق ألوان الاضطهاد ، وكان الأطفال غير الشرعيين يقتلون . أما الآن فإن هؤلاء العذارى (اللائى يحملن) توجه إليهن عناية ؛ وكذلك أطفالهن لهم الحق فى الحياة الطبيعية ولو أن لذاتهم يعيرونهم . وأصبحت هـــذه الأمور تقع كأنها أمور عادية لا غرابة فيها !

٥ — لم يعد هناك احترام للتقاليد ، وأصبح للشباب من الجنسين حرية الاختيار فى الزواج .

الشرق والغرب (١)

كان للاسكندر الأكبر وحروبه فضل كبير فى اختلاط الشرق والغرب . وعندما انتقلت الآداب العربية إلى أوربا فى العصـور الوسطى أثرت فى نهضة الآداب والفنون — خصوصا بعد أن وصل المسلمون إلى جبال البرانس . أى أن الغربيين أخذوا من الشرقيين ما نفعهم يوم نهضتهم . وزاد الاختلاط شدة سهولة المواصلات وانتشار المخترعات وهجرات الشرقيين خصوصاً أهل الشام إلى العالم الجديد . وقد استفاد الشرق كثيرا من الغرب فى العصـور الحديثة إذ تعلم الشرقيون : معنى الوطن والوطنية وحب الجنس والقومية ، ونقلوا بعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية . وأخذوا أصول الصحافة التى كان لها أثر عظيم فى إدخال الأفكار الجديدة وتبديلها من النظم القديمة . وتجلى أثر ذلك واضحا فى تنوير أذهان الشرقيين وثورتهم على الاستعمار فى الستين الاخيرة وذلك لانتشار الآراء الثورية .

وكان احتكاك المصريين بالفرنسيين فى القرن الثامن عشر أول احتكاك علمى مع الفرنجة . وممن كانوا فى طليعة المستفيدين مؤرخ مصر فى ذلك الحين الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، وشيخ الأزهر حينئذ الشيخ حسن العطار ؛ إذ علموا بعض علماء الحملة الفرنسية اللغة العربية وتعلموا منهم ما لم يكن لهم به عهد من العلوم المادية . وقد أبدع الجبرتى — فى تاريخه — فى التعبير عن شعور الشرقيين تجاه هـذه العلوم ، وقام فريق من علماء الحملة بدراسة مصر من كافة نواحيها . ويعتبر كتاب «وصف مصر» أوفى دراسة وأحسن مرجع للحياة المصرية فى ذلك الحين . ولما تولى محمد على الكبير حكم مصر أوحى إليه ذكاؤه أن الانعزال مبعث التأخر فأبقى على التعليم فى الأزهر وأدخل التعليم الحديث وأرسل فى استدعاء الأساتذة والأطباء ، بيدأنه رغب فى الاستغناء عن الأجانب والأخذ عن الغرب مباشرة فأوفد البعثات العلمية إلى إيطاليا ثم فرنسا وانجلترا وألمانيا وغيرها . وقد نهج محمد على خطة حميدة وهى الأخذ بمحاسن الغرب مع الإبقاء على تراث الشرق بل إحيائه . على أن احتكاك الشرق بالغرب قد جلب الكثير من المساوىء منها انتشار المسكرات وفتح أبواب الفجور والاستخفاف بأمور الدين .

خاتمة :

بعد دراسة احتكاك الحضارات وعرض أمثلة له ، يمكن القول بوجه عام إنه ليس فى مقدور أمة أن تعيش بمعزل عن سائر الأمم فلا بد من التأثير والتأثر . ومما هو جدير بالذكر أن للاحتكاك مساوئه ومحاسنه إلا أن الأمة الحريصة هى التى تستفيد من تجارب غيرها ، وتعمل على أن تتخلص مما طرأ عليها من أضرار وشرور نتيجة احتكاك الحضارات .

وقد نتج عن ذلك — نتيجة ما اتصف به الانسان من الهجرة والتقليد كما ذكرنا فى بداية هذا البحث — أنه لم تعد هناك حدود فاصلة بين الأجناس البشرية ، لذا قيل بحق : إن الجغرافيا الجنسية لا تعترف الحدود . ويظهر ذلك بجلاء فى اختلاط العناصر وامتزاج الدماء فى ربوع وادى النيل .

محمد محمد على
(ليسانسيه فى الآداب)

١ — تلخيص من كتاب الأستاذ محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية : الجزء الأول .

حول دراسة العربية

تعقيد « التقعيد » ..!

للاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

قرأت ما دار حول تدريس العربية في الأزهر ، وقد أثير هذا الموضوع في جريدة المقطم في ٢٦ - ٨ - ١٩٢٧ ، فلم يبد أحد رأيا حوله ، لوقوف الاتجاهات الفكرية ، وعدم الخروج عن دائرة التزمت العلمي ، لكن الأيام تثير الأفكار ، وتلاين الصلابة الفكرية ، فيعاد تساؤلنا الذي بسطناه حينئذ : « هل تلك التواليف المتعددة .. على تباينها - قد حصرت القواعد حصرا يمكن الأخذ بها ؟ ، أو أنها تناثرت واضطربت وكانت عقبة يتعذر بها على متشوف العلم التفهم والاستقلال في التصرف ؟ ! ...

« إن التصانيف الموضوعة في هذه العلوم على ركاكة أسلوبها ، وتنافر بحوثها غير مجدية في باب الانتاج العلمي ، والمدارسة في مجموعها سائرة على غرارها ، ويكاد الآخذون يرددون ألفاظها من دون أن يجعلوا للابتكار والتفنن في التعابير وظيفة يعتمدون عليها في إيضاح الطرق وكشف الأسرار عن المعميات اللغزة بالالغاز ومناقشات جوفاء لا تمت إلى البحث العلمي بأدنى صلة ، ثم « التقيد » بتعابير موضوعة كالقوانين التي لا يتصرف فيها أقل تصرف ، فقدت القواعد تحاكي « الاسطوانات » المكرورة - وبقيت اللغة محرومة من المقايسة المعقولة وحددها المصنفون الأعاجم ذوو البيان الملتوي ، والمنطق الأبكم تحديدا وضعها في الأغلال ، ولم ينظر إليها المحدثون نظر البصير بل إزدادوا في تعلاتهم والعصر يتطلب السهولة ، والبراعة ، والسرعة وطلاقة الفكر ، والتجديد ، ومراوضة العقول على كيفية التمثيل ... »

« إن الحياة تتطلب ألوانا من التفكير تابعة لألوان الأيام . وإذا كان الكاتبون في علوم البلاغة ، والنحو ، والصرف ، قد انتحوا إلى الناحية اللفظية وخلطوا ، واضطربوا ، فليس لنا أن نأخذ منهم طريقتهم ، لأن عصرنا يخالف عصرهم والأفكار تتمشى بطبعها مع العصور ... »

برمت العقول بما تحدثه « الحواشي » وأشباهها من الافتراضات البعيدة الذاهبة بحقيقة العلوم إلى ما وراء الخيال ، ووقفت الإفادة إلى حد المناقشة في أسلوب التعاريف البلاغية والنحوية ونقد حدودها بأسلوب يحتاج إلى النقد ، وبدهي أن طالب الاستفادة لا يشغله غير ما يدله على موطن استفادته ، أما الأوهام التي يدل عليها قولهم : « فإن قيل » ، فليس لها مدخل في الصميم فتم تشذب هذه التواليف ، وتؤخذ الزبدة حتى تكون سائغة مقبولة ؟

« إن الأعراب كانوا يتطقون بالسليقة والفطرة ، فلم يعرفوا التنافر وضعف التأليف ، والحركة الظاهرة والمقدرة ، والإظهار ، والادغام ، والاتصال ، والانفصال - بل كانوا يرسلون القول إرسالا » .

« إن معرفة الآراء واجبة ، لكن التكليف والارغام ، والموافقة والاستسلام ، لا يجب أن تكون حاجزا بين المناقشة وطرد مالا تستسيغه العقول فليس واجبا حصر العقول في خلافات سيبويه والكسائي والفراء وابن خروف وابن جني ، أو متابعة أقوال السكاكي والزمخشري والقزويني - لأن بحوثهم استطرادية » ...

« الطريقة المثلى التي يجب أن تدرس بها علوم اللغة تكون في الاقتصار على الاستشهاد من أقوال العرب الخالصين بالقواعد التي وضعها الأقدمون ثم الإشارة إلى المواضع التي اختلفت فيها الأقوال » .

« يجب أن يقوم بعض المضطلعين بعلوم اللغة ، الواقفين على أسرارها بوضع كتب علمية خالصة تحمل القواعد في أسلوب بعيد عن التلوي والتأويل ، والتجوز ، والمحاورة » .

وقلت في جريدة « الجهاد » : إن لغة التأليف في كتب الأزهر تقوم على التلوي والمداورة ، والتأويل ، والتحوير ، والإلغاز والتعمية - واللغة العربية عينة ليئة بعيدة عن التكلف والغموض بل هي أحفل اللغات في التوسع والتجوز ، وحفلت ألفاظها بالمترادفات ، وكثرت التعابير المجازية والكنائية في سلاسة وقرب مأخذ .

لكن السادة المؤلفين - رحمهم الله ! - كانوا يرون البراعة

الشعر المصري في مائة عام

علي ابو النـــصر

... — ١٨٨٠

للاستاذ محمد سيد كيلاني

بقية ما نشر في العدد الماضي

ومدح الخديو توفيق بقصيدة مطلعها

روض الأماني تغنينا سواجعه فكل راج لها تصغى مسامعه
وكيف يرتاب من لاح اليقين له في جبهة الدهر أو من يخادعه

لم يبدأ الشاعر هذا المدح بالغزل كعادته . وإنما بدأه بذكر الأماني والآمال التي كانت تدور بخلد الناس حينما تولى الخديو الجديد . والبيت الأول جيد المعنى والعبارة . أما البيت الثاني ففيه رد على اليائسين من الاصلاح ومعناه جيد . وقال :

وهل على من سمى يوما إلى غرض لوم إذا منحت منه موانعه

يقول إن من شعر العزم لتحقيق بعض الأهداف وفشل في ذلك فلا لوم عليه ولا تثريب . وهو بهذا يرد على المرتابين . والبيت جيد المعنى والتركيب . وفيه حجة مفحمة . وقال :

نحن الألى سلقتنا ألسن نطقت في عتبنا بمـــلام عم شائعه
قالت لقد عصفت فيكم رياح هوى أمالكم عن سماع النصح ذائعه
تبغون من غير أس في تصرفكم وحكم الأمر فائقكم مواضعه
أضغاث أحلامكم كادت تؤولها آمالكم بحديث ضل راقعه
حيث الخواطر والأفكار خامرها من الحوادث ما عمت فظائعه
وجندت جندها الأيام عادية وجردت سيف غدر صال قاطعه

هذه القصيدة هي من أجود ما نظم أبو النصر . فلم يكن الرجل فيها متكلفا ولا متصنعا، ولا كاذبا ولا متملقا : ولا مرائيا ولا منافقا . وإنما كان وطنيا مخلصا يعبر عن شعور داخلي كامن في نفسه ويترجم عن احساس دفين بين جوانحه . وقد نسى الشاعر نفسه وتجاهل مصالحه الخاصة والنعم الكثيرة التي اغدقت عليه في أيام اسماعيل ، ونظر إلى الأمور نظرة المشفق على ما فيه خير الأمة ، المتألم لما أصاب البلاد من الكوارث والخطوب . وقد أطلق للسانه العنان فنطق في غير خوف ولا وجل ، وانتقد في جرأة عجيبة . والأبيات جيدة المعاني والتراكيب .

وقال :

وكل من رام تدبيرا ولاح له جند الجرائد هـالته طلائعه

هذا البيت مأخوذ من الواقع . وربما كان فيه إشارة إلى الصحف الأوربية التي أكثرت من مهاجمة الخديو اسماعيل في أواخر أيامه . والمعنى جيد غير أنه كرر صورة واحدة في بيتين وهي صورة الجيوش في قوله « جندت جندها الأيام » وفي قوله « جند الجرائد » كما أنه كرر كلمة « جند » في بيتين متتاليين . وهذا غير جيد . وقال :

وما أجبتم سؤال الحدقين بكم كأنما القطر لا تغنى وقائعه
كم نزهتكم رباه في مراتعها فأصبحت وهي للرائي بلاقعه
أكرمتم الغرباء النازلين بكم لكن فلا حكم ضاقت مزارعه

هذه أبيات جميلة لأنها صادرة عن شعور فياض بالحزن على ما أصاب البلاد . وفيها موازنة بين الرخاء الذي كان في زمن سعيد وأوائل عهد اسماعيل وبين الضنك والبؤس الذي خيم على البلاد في أواخر حكم اسماعيل . وفيها إشارة إلى الضرائب الباهظة التي أثقل بها كاهل الفلاح فاضطرته إلى الاستدانة من المرابين

من حيث الإعراب ويعدون الدقة في فصل العبارات بعضها عن بعض وتقديم الصفة على الموصوف والمتعلق على ما تعلق به ، وعود الضمير على المتأخر في اللفظ والرتبة ، والاستطراد ، والإشارة البعيدة ، والرمز الخفي ، إلى غير هذه الأمور « المصطنعة » في التأليف العلمي .

هذا وكان الوقوف عند القديم وتمسك القائمين على التعليم في الأزهر « بالعبارة العلمية » المقصود بها « الحفظ الأعمى لا الفهم المبصر » .

مما سبب عدم العناية بتلك التواليف الجامعة بين الورود والأشواك !! وبعد ؛ فالحياة قد تغيرت ، والعقول تفتحت ، والمواهب تعددت ؛ وليس عسيرا على أصحاب الرأي من علماء الأزهر تكوين هيئة تبرز العلم الصحيح في أسلوب واضح ، سلس ، شائق .

بور سعيد أحمد عبد اللطيف بدر

أو إلى الفرار وترك الأرض قفرا لا زرع فيها ولا ضرع . وفى البيت الأخير بكاء شديد على ما أصاب الفلاح المسكين . وقد أجاد الشاعر فى المقابلة بين الأجانب الذين تمتعوا بكل خيرات البلاد وبين الفلاحين الذين كانوا محرومين من ضروريات الحياة . والأبيات الثلاثة جيده المعنى والأسلوب . وقد أسبغ عليها الحزن روعة وأكسبها جلالا . ومن قرأ البيت الأخير لا يسعه إلا أن ينحنى إكبارا لأبى النصر الذى كان أول شاعر فى العصر الحديث يعبر عن آلام الفلاح ويتعرض لذكر ما يعانيه من ضيق وفقر . وكان أبو النصر كثير الاختلاط بالفلاحين فرأى من آلامهم ومتاعبهم ما ظهر أثره فى هذه القصيدة فوقف فيها كما نرى موقف المدافع عن هؤلاء القوم ، الفاضل عنهم ، رافعا عقيرته يطالب الاصلاح . وقال :

فمن لكم أن تروا عدلا أخاهم يسركم بقدوم العدل طالعه

وهذا البيت تمهيد للانتقال من وصف الأحوال المحزنة التى أشرنا إليها إلى التنويه بالفرج المرتقب على يدى توفيق . وهذا التخلص جيد إلا أن أسلوب البيت ضعيف .

ثم قال :

فقلت مهلا فكم من أزمة فرجت وأعقب الليل صبح ضاء لا معه
وإنما اليسر بعد العسر منتظر وأحسن الصبر ما ترجى منافعه
دعوا الأراجيف فالأوهام ليس ترى
إلا خيال سراب فاض ناقعه
ولا يغرنكم منا الفتور فقد يسابق الركب فى الفيفاء طالعه

فى هذه الأبيات رد على المرتابين فى الاصلاح واليائسين من الفرج . وقد حاول أن يقنعهم بأن الفرج آت لا محالة . وقد أجاد إذ سلك طريق الحوار لعرض آرائه وبسط آماله وأمانيه . ففى الأبيات الأولى أجرى الحديث على ألسنة المرتابين فى الاصلاح ، وعظم من شأن ما كانت تئن منه البلاد . وفى الأبيات الأخيرة أجرى الحديث على لسانه فأعرب عن رجائه فى اليسر بعد العسر ، وفى الفرج بعد الشدة . ثم انتقل من هذا الى مدح الخديو وخاطبه بهذه الأبيات :

نرجوه إنجاز إصلاح الشؤون عسى يصفو به الملك دانيه وشاسعه
فإن آمالنا أمنه جارية بأنها لا ترى شهما يضارعه
فكن مجيبا أبا العباس دعوتها فباب عطفك يلقى البشر قارعه
ووال فضلك ياخير الولاة لمن وإلى لأمرك يشقى من يراجعه

واستنتج الرأى اصلاحا فقد حجبت
شمس الهدى بسحاب فاض هامعه
وطهر الملك من عات ومنهم تقوده للقضا جهلا مطامعه

هكذا وقف أبو النصر من الخديو توفيق موقف الناصح الأمين والمرشد المخلص . ووقف كذلك موقف الوطنى الغيور على مصلحة أمته فطالب برفع المظالم وتطهير الأداة الحكومية من اللصوص والمرتشين . وهذه الأبيات من أصدق الشعر الذى قيل فى ذلك الوقت . ففيها تعبير عن رغبة شديدة كمنت فى النفوس ، وتطلعت إلى تحقيقها القلوب . وكان أبو النصر ممن ترجموا عن هذه الرغبات الكامنة ونطق بما تزجوه الأمة من الاصلاح ورفع المظالم . وختم الشاعر قصيدته الرائعة بقوله :

فإن رعيت وراعيت الحقوق فما أولاك بالمدح يتلو الحمد بارعه

وفى هذا البيت تظهر جرأة الشاعر فى مخاطبة سيد البلاد . فهو يقول له إنك ان تكون أهلا للمدح والثناء إلا إذا قمت بما تتطلبه البلاد من الاصلاح ونشر العدل . ولا ريب فى أن الشاعر قد وفق وأجاد حينما ختم قصيدته بهذا البيت المؤثر . وهذه القصيدة وإن قيل إنها نظمت فى مدح الخديو الجديد إلا أن ظاهرة المدح فيها لا تكاد تذكر . وطغت عليها ظاهرة الالحاح فى طلب الاصلاح . وهى أروع ما نظم أبو النصر ، بل من ؟ أروع ما نظم فى ذلك الدور على الاطلاق .

وهكذا اشترك أبو النصر فى التمهيد للحركة العرابية التى ظهرت بعد وفاته .

وللشاعر طريقة خاصة فى الرثاء . فهو يبدأ بالتحدث عن الموت فيذكر أنه غاية كل حى ، وأنه السبيل الذى يسلكه كل مخلوق . ويشير إلى استحالة الخلود . ثم يتعرض لذكر الأصاغر والأكابر الذين ماتوا . ثم ينوه بالخطوب التى تصيب الناس بفقد العظماء . ويتخلص من ذلك إلى القول بأن أجل خطب فى عصره هو وفاة فلان . ثم يشرع فى التنويه بمناقب الفقيد . فلما رثى السيد مصطفى المرومى أورد الديباجة التى أشرنا إليها ثم تخلص منها بقوله :

وأجل خطب غصت الدنيا به فى عصرنا فقد المرومى مصطفى

ورثى أحد العلماء فسلك الطريقة عينها وتخلص بقوله :

وأجل خطب ساء أرباب النهى فقدان من تزهو به وتفاخر

وفعل مثل هذا فى رثائه لعالم آخر وتخلص بقوله :

وأجل خطب هالنا وأهمنا أن غاب عنا ذو الفضائل أحمد

ونهج هذا النهج فى رثائه للشيخ على القوصى ، فقال :

وأجل خطب غصت الدنيا به موت الإمام السيد القوصى على
وهو ابن عبدالحق من حاز العلا شرفا وعلما وهو أستاذ ولى

فالرثاء عند أبى النصر صورة معادة وتكرار لبعض المعانى فى عبارات تكاد تكون متشابهة . وليس فى هذه المراثى ما يستحق أن نقف أمامه إذ أنها متكلفة مصطنعة . فكلما رثى شخصا ادعى أن موته كان أجل خطب أصيبت به الدنيا . وبذلك لن نخسر شيئا إذا تركنا هذا الباب من شعره .

ولأبى النصر قصائد قليلة يظهر فيها صدق الشعور والتهاب الاحساس واتقاد العاطفة . ومثال ذلك قوله وهو بالأستانة يتشوق إلى مصر :

أبدا تشوقنى لمصر ظلالها وبطوف بى مهما رحلت خيالها
ولنيلها أصبو وعذرى واضح عذبت مناهلها وراق زلالها
هى منتهى أملى وأقصى بغيتى هى قبلتى والواجب استقبالها
واطالما سرحت فيها ناظرى وحلت إلى سهولها وجبالها
وجمعت بين رياضها وحياضها وسرت إلى جنوبها وشمالها
أرض المستفيد عوارفا تسدى النوال يمينها وشمالها
بلد بها وطنى فلا أبغى بها بدلا ولو بعدت وعز وصالها
لكن رأيت عزيزها طلاب السرى منها إلى بلد يروق جمالها
ونظرت فى شأن البدور وإنها لولا تنقلها لفات كمالها
وكذا اللآلى لو ثوت فى كنزها مالاح فى تاج العروس هلالها
فرغبت فى الترحال وهى بخاطرى مطبوعة منظومة أشكالها
ودعتها وفى يقبل ثغرها ومدامعى يحكى الحيا استرسالها

هذه أبيات نقرأها فنعجب بها ونقف أمامها متأثرين بما فيها من روعة وجمال . فلم يكن الشاعر متكلفا ولا صانعا للشعر ولا ناظما جل همه البحث عن المحسنات اللفظية . وإنما كان ناطقا بما فى أعماق نفسه وفرارة فؤاده ، معبرا عن شوقه لبلاده ، مترجما عن مبلغ تعلقه بوطنه تعلقا جعله يتخذه قبلة يولى وجهه إليها أينما سار . ولم تلهه عن بلاده مظاهر الجمال والروعة التى يشاهدها كل من رحل إلى الأستانة ؛ بل إن شوقه لبلاده وما فيها من رياض وحياض وسهول رجيال ونسيم عليل قد سيطر على ذهنه وطغى على كل شىء أمامه فلم يعد يرى غير مصر إليها يصبو ويحن ، فهى كما قال منتهى أمله وأقصى بغيته . وفى كل بيت من هذه الأبيات نلمس قوة فى التعبير . ومثال ذلك قوله : ـ أبدا ـ تشوقنى لمصر ظلالها ، وبطوف بى ـ مهما ـ رحلت خيالها ، هى ـ منتهى ـ أملى ، ـ وأقصى ـ غايتى ، هى ـ قبلتى ـ ، ـ فلا أبغى بها بدلا ولو بعدت ـ . وأنظر إلى البيت الأخير وهو :

ودعتها وفى يقبل ثغرها ومدامعى يحكى الحيا استرسالها

فإنك لا شك متأثر بما فيه من روعة ، تتخيل الشاعر وقد هوى على أرض الاسكندرية يقبلها ويبكى بكاء شديدا لهذا الفراق فيمسك عليه وتبكى لبكائه .

وكان أبو النصر مغرما ببعض أنواع البديع يحشدها فى قصائده حشدا ، ومثال ذلك قوله :

لى فى ربا الشوق اتهام وانجاد إلى الأحبة إن ضنوا وإن جادوا

وفيه طباق بين « اتهام » و « انجاد » وبين « ضنوا » و « جادوا » وفيه جناس بين « انجاد » و « جادوا » .

ومن تلاعبه بالألفاظ قوله وهو بحضرة شيخ الاسلام فى تركيا :

وكذا ترى مصر السعيدة جنة ونحسبها دون البلاد هى العليا
فلما رأت داو الخلافة عيننا علمنا يقينا أنها لهى الدنيا

فى كلمة « الدنيا » تورية لطيفة تدل على البراعة والاقتدار فى الصنعة .

وللرجل شعر ينحط فى أسلوبه إلى العامية . ومثال ذلك قوله . سده واجب أكيد وإنى أيتنى فى مسافة الشهر سده

وقوله :

ومنى عليكم كل يوم تحية وسائر أحبابى الكرام ذوى المجد
كذا جملة الاخوان شرقا ومغربا متى سألوا عنى ولو أخلفوا ودى

وهذا كله من تعابير الدهماء .

وحاول صاحبنا أن ينظم فى باب الحكم . وله قصيدة قلد فيها صالح بن عبد القدوس فأخفق إخفاقا تاما . ومن هذه القصيدة قوله :

حسن الخليفة للخليفة يوجب حسن الرضا عنهم ونعم الموجب
والعلم يزفع قدر من عملوا به والعاملون بغير علم كذبوا
والمدعى ماليس فيه جهالة لا شك عند الامتحان يكذب

وهذا كلام خلو من المعنى . وفضلا عن ذلك فإن عبارة البيت الأول فى منتهى الضعف وقد كرر القافية فى قوله

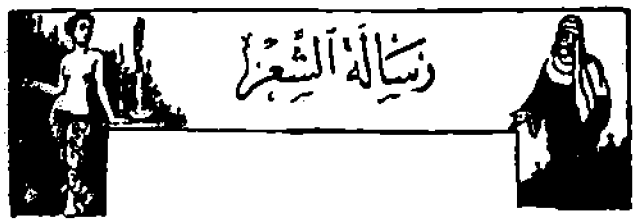

نهاية الملحمة

للاستاذ ابراهيم الوائلي

يا شموبا نسيت أمجادها ... واحتواها عالم الوهم الذميم
إسألي القبة من ذا شادها ... فأضاءت حلك الليل البهيم ؟

قد تعثرت وما جزت الشعاب ... وتلكأت وقد غص الطريق
وتنابذت ، وقطعان الذئاب ... تتلاقى في ذرى البيت العتيق
فاذا كل مساعيك ضباب ... مزقته الريح في الوادي السحيق
لا تقولي : أين يا فجر الحياه ... كيف نلقاك وفي أي مجال ؟
بعد ما تهت بأجواز الفلاه ... وتناثرت على شوك الرمال

يا شموبا صيرتها مزقا ... أمة ما عرفت غير الفساد
عبرت والنجم يطوى الفسقا ... وأفاقت فاذا النار رماد
دعم الظلم لها ما لفقا ... عصبة تحلم في «أرض المعاد»
وتراجعت وقد قيل اندثر ... حلم «اسرائيل» في الوادي الأمين
فاذا أنت فلول وزمر ... تتحداها وحوش الطاميين !

يا شموبا كم أرتنا عجبا ... سيرا شتى وعهداً لا يطاق !
صيرتها للمآسي ملعبا ... أرؤس تحيا على غير وفاق
آن يا تاريخ ألا تكذبا ... فلقد طال بنا عصر النفاق
إن أقواما قد ضلوا الطريق ... واستجابوا لأباطيل الخصام
وتناسوا ذمم العهد الوثيق ... يوم ثار الدم في أرض السلام

هذه الطعنة في القلب الجريح ... سوف تبقى رمز ذل الصاغرين
وضحايا الغدر في مهد المسيح ... شارة الخزي على كل جبين
والمصابات على الوادي الذبيح ... قهقهات تتحدى الحاكمين
يا شموبا قوضت منها الهمم ... واستحالت سرحاً للدخلاء
اعبدي الوهم وطوفي بالرمم ... ثم قولي : إن ذا حكم القضاء !

يا شموبا كان ماضيها المتيد ... شعلة تشرق في دنيا الظلام
تستسيغ الموت في ظل الحديد ... وتناجي الحب في ظل السلام
أنت أصبحت طعاماً للعبيد ... وستبقين لمن شاء الطعام
فخذيها من خرافات العصور ... ضحكة تبقى على ثغر السنين
وألفي الصمت فما يجدي الغرور ... أمة تسعى وراء الفاتحين !

يا شموبا أسست وحدتها ... لغة عظمى ودين ودم
ودعاها باعثا نهضتها ... من بني العرب يتيم معدم
كيف أغضيت فأحييت «سبتها» ... فئة هانت لديها الذمم
ثم ناديت بمن لا يستجيب ... وترافعت لأوهى «مجلس»
فاستعدي إن في الآتي القريب ... قصة أخرى عن الأندلس

علمتني الحقد ـ والحقد مشين ... أمم تسعى لتوهين العرب
فتنفست عن الحقد الدفين ... ثورة تذكو بأنفاس اللهب
وسأبقى ثائرا في كل حين ... كلما أبصرت عباد الذهب
والمصابات بوادي «أورشليم» ... تتغنى بأناشيد الظفر
وحواليها من الغرب الأثيم ... بشر ينكر تاريخ البشر

يا شموبا سجلت خذلانها ... وتناست ثورة الأمس القريب!

«كذبوا» و «يكذب» وهما من فعل واحد .

وحاول أن ينظم في باب الحماسة فجاء شعره متكلفاً مكذوبا .

ومثال ذلك قوله :

بليت بلا الهبا إن لم أصابر ... ولو يلقى على ظهري ثبير
فكم جبت المفاوز للعالى ... على قدمي وقد ند البعير
ووسدت الصفا شرقا وغربا ... وعافتني النمارق والسرير

وهذا افتراء عظيم - وليس في تاريخ الرجل ما يدل على أنه قطع مفازة واحدة أو ركب بعيرا .

ومما عبته عليه قوله في الخديو اسماعيل

وإذا تشوف من براك النعمة تهدى إليه سوى رضاك فقد كفر

ففيه تكلف ومغالاة تخرج به إلى حد الكذب الصريح .

ولا شك في أن الرجل كان ضئيل الحظ من الاطلاع على آثار الفحول . ومعظم شعره في المدح . وحسبنا أن نقف في حديثنا عنه عند هذا الحد .

محمد سيد كيلاني

قد أطاعت فى الدجى ربانها ... وهو بين الموج يطفو ويغيب!
أى صبح فتحت أجفانها ... «بنت اسرائيل» فى «تل أبيب»؟
وأفقنا فاذا بالحائرين ... فى صحارى البيد فى دنيا القفار
إيه يا من سيروا هذى السفن ... انتم أولى بأمواج البحار

روعت «حيفا» بأشتات الطغام ... فاحنى يبكى عليها (الكرمل)
وانطوت «يافا» على الداء الحسام ... فشكا القدس وناح «المجدل»
[illegible] ... [illegible]
لا ورب ما لهاتيك الشعوب ... أى ذنب لا ولا ثم عتاب
انما يعرف أسرار الذنوب ... مازج الطعم بالشهد المذاب

ألف وعد لم يف الخصم به ... والبلفور بوعد قد وفى
فتقاضينا ولم نتعبه ... لشباك نصبت طى الخفا!
يا بلادا لم تجد من مشبه ... لك فى ظل ركاب الحلفا
أنت آمنت بمن لم يؤمنوا ... بسوى الغدر و«فرق تسد»
فاذا دنياك ليل أدكن ... ليس للفجر به من موعد؟

نبعة قد غرست فى «لندن» ... وتلقت من «نيويورك» الظلال
وسقتها بصبيب نتن ... يد «جنبول» وعاثت فى الرمال
ثم ألقت ظلها فى الأردن ... وترامى شوكها حول «القنال»
وأراها فى غد أو بعد غد ... سوف تمتد بشر مستطير!!
وبنو قومى فى صمت الأبد ... لا يبالون وإن ساء المصير!

أيها القصور العالية ... جيلنا الراسف فى أغلاله؟
أم لشذاذ البحار الثائية ... عالم يقضى على آماله؟
أم لهاتيك الوحوش الضارية ... ريع حتى الطفل فى أطفاله؟
أم لمن يا رب تلك الصرخات ... علا الآفاق آنا بعد آن؟
فابعث الرحمة فى الأرض الموات ... أو فأحرقها بنار ودخان

يا رفاق الثورة الأولى احذروا ... فتنة الدس وكيد الخائنين
فلقد بان الصباح المسفر ... عن خبيء وتجلى عن كمين
هوم بالركب فلا تنتظروا ... غير أن يزحف ركب الثائرين
وابعثوها صيحة تحتدم ... فى فضاء الله فى عرش السماء
فلقد آن لكم أن تختموا ... هذه القصة لكن بالدماء

ابراهيم العوائلى

مجلس مديرية المنيا

يقبل عطاءات حتى ظهر يوم الاثنين ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٥٠ عن توريد كتب وأدوات مدرسية . مطبوعات أثاثات خشبية . أدوات النظافة والشرب والتدبير المنزلى . خامات أشغال الابرة والكساوى . خامات أقسام الأحذية والسروجية . الخيزران السجاد والكليم والرفو والصباغة . عدد وآلات موسيقية .

وتطلب القوائم والشروط من إدارة المجلس على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما نظير مبلغ ٢٠٠ مليم ثمنا لكل قائمة . ٤٦٤٣

ادارة البلديات العامة

تقبل العطاءات بادارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٨ / ٥ / ١٩٥٠ عن عملية توزيد أدوات كتابية للادارة .

وتطلب الشروط والمواصفات من الادارة على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٣٠٠ مليم خلاف أجرة البريد . وكل عطاء يرد بدون تأمين ابتدائى لا يلتفت إليه .

٤٧٢٣

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ذكرى اقبال :

دعت السفارة الباكستانية إلى الاحتفال بذكرى الشاعر الفيلسوف المغفور له الدكتور محمد إقبال ، في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة الماضي . ولم يكن هذا الاحتفال قاصرا على اخواننا الباكستانيين في مصر ، بل كان في أغلبه احتفال مصر بالشاعر الاسلامي الكبير ، على أنه كان أوسع من ذلك إذ اشترك فيه أحد المستشرقين وهو الأستاذ داود كاون الذي قال إن إقبال لم يكن شخصية إسلامية كبيرة فحسب بل كان شخصية عالمية ..

افتتح الحفل — بعد تلاوة من القرآن الكريم — سعادة السيد عبد الستار سيت سفير الباكستان فرحب بالحاضرين والمشتركين في الاحتفال وأشاد بصاحب الذكرى وفضله في العمل على قيام دولة الباكستان . وأعقبه سعادة الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظة باشا بكلمة طيبة قال فيها إن الباكستان ولدت بفتة على يدي بطل من أبطال الإسلام هو شاعرنا العبقري محمد إقبال . وقد ولدت هذه الدولة كبيرة بفضل رجالها الذين جاهدوا في سبيل إنشائها وعلى رأسهم إقبال ، ونحن إذ نكرمه فإنما نفعل قياما بالواجب نحونا ، إذ أننا حين نكرم هذا الرجل العظيم فإنما نقدمه للشبان أسوة حسنة ، فقد كان ذا هدف شريف وهو العمل على رفعة الإسلام .

وألقى الأستاذ مظهر سعيد كلمة عن فلسفة إقبال قال فيها إن هذه الفلسفة مزيج من الفلسفة الغربية والفلسفة الإسلامية وإنها ترمي إلى الخير والكمال في ظل الاسلام . وألقى الدكتور ابراهيم ناجي قصيدة جيدة مطلعها :

حيا وميتا قلدوك الفارا ما أروع الأيام والتذكارا

وتوالى بعد ذلك خطباء وشعراء منهم الشيخ الصاوي شعلان الذي ترجم كثيرا من شعر إقبال من الأردية والفارسية إلى العربية ، وكان فضله في ذلك ظاهرا ، إذ كان كل ما استشهد به الخطباء مما ترجمه هو والأستاذ محمد حسن الأعظمي واختتم الاحتفال بكلمة الدكتور حسين الهمداني الذي قال إن الشكر على المشاركة في إحياء هذه الذكرى ليس لي فقد سمعتم من الخطباء والشعراء أن شاعرنا الفيلسوف لم يكن شخصية محلية ، لقد كان جزءا من التراث الذي قدمه المسلمون للعالم

وقد أصدر قسم الصحافة بالسفارة الباكستانية عددا خاصا بالشاعر محمد إقبال من مجلة « رسالة الباكستان » التي تصدر بالقاهرة . وأذاع راديو كراتشي برنامجا خاصا بهذه الذكرى . وقد استطعنا مما نشر وأذيع عن إقبال وما ترجم من أشعاره إلى العربية أن نقف على كثير من حياته واتجاهه الفكري ونستمتع بنفحات شاعريته ، ومما يذكر أيضا أن الأستاذين الشيخ الصاوي والأعظمي قد أنجزا كتابا عنوانه « فلسفة إقبال » نقلا فيه إلى العربية ديوان إقبال ، والكتاب على وشك الظهور . ولاشك أن هذه الجهود كلها تضيف إلى الأدب والثقافة والمكتبة العربية الحديثة أقباسا منيرة من ذلك الأفق المشرق.

ولد محمد إقبال سنة ١٨٧٣ في أسرة براهمية بقرية لوهار بكشمير ، وقد اعتنق أحد أسلافه الدين الإسلامي وأصبحت الأسرة بعد ذلك أسرة إسلامية وتعلم إقبال في المكاتب والمدارس الهندية حتى أتم دراسته بكلية الحكومة بلاهور ، واتصل فيها بالمستشرق توماس أرنولد أحد أساتذتها إذ ذاك . ثم رحل إلى أوربا سنة ١٩٠٥ قاصدا كمبردج ثم هيدلبرج بألمانيا ثم ميونخ حيث حصل على الدكتوراه برسالة موضوعها « تطور الفكرة العقلية في إيران » وعاد إلى وطنه في سنة ١٩٠٨ . ولم يلتحق بخدمة الحكومة لضعف بصره ، فوجه جهوده إلى الانتاج الفكري الحر ، حتى توفي سنة ١٩٣٨ .

كان إقبال شاعرا وفيلسوفا ، ولكنه لم يكن من أصحاب الأبراج العاجية ، بل كان شاعرا بآلام قومه وآمالهم ، وكان فيلسوفا ينظر في أحوال أمته ويعالج شؤونها ويخط لها طريق المستقبل الزاهر ، يجمع شعره بين الأهداف السامية والاجتماعية

وبين المتعة الفنية والغناء الشعري كان يتغنى بمآثر الإسلام وأمجاد المسلمين فيطرب الأسماع ويذكي الحمية ويشعل نار الهمم، وكان يقرع الأعداء بعضب قوله فاذا أغراضهم في إذلال البلاد الاسلامية تنكشف وتتهاوى، وإنما تبعث الأمم المغلوبة على أمرها بالتنوير والتنبيه والتحذير في أول الأمر، وبعد ذلك يفعل الرأي الحازم المستنير كل شيء.

نظر إقبال فرأى الأوربيين يعيشون في صراع وتتكالب على المادة، ونظر أيضا فرأى تواكل المسلمين وجمودهم، ولاحظ مع ذلك اتجاه هؤلاء إلى الثقافة الأوربية، فلم يجد في ذلك ما يخشاه إلا أن يؤخذ بالظاهر البراق دون النفوذ إلى الجوهر الصحيح — نظر إلى ذلك ثم ناشد المسلمين أن يرجعوا إلى دينهم ليتأملوه من جديد في ضوء الفكر الحديث كي يقيموا حياتهم على أسسه الروحية العملية

ومن أسرار عظمة إقبال أنه اغترف من الثقافة الغربية ما انتفع به في تعزيز مقوماته الأصلية، ولم يجر وراء الغربيين يأخذ عنهم كل شيء ويزدري قومه كما يصنع كثير مما رأيناهم فتنوا بذلك السراب، وإنما رجع إلى قومه بما يفيدهم من تلك المدنية والثقافة على أن يبعثوا من إمكانياتهم الكامنة ما يوجههم وجهة أجدى على الحياة الإنسانية مما يشاهد في الغرب من اندفاع نحو الأنانية والصراع المادي.

وهاك شيئا من نفحات تلك الشاعرية في هذه القطعة التي ترجمتها عن الأردية وهي من الترجمة المنظومة التي قام بها الشيخ الصاوي شعلان:

إن الذي لم يدر أنات المساء
ولم يسامر عينيه نجم السما
ولم يحطم جام قلبه الأسى
ولم ينر ظلام ليله البكاء
والسادر اللاعب طول عمره
لم يستمع إلا إلى عذب الغناء
والعاشق المحروم في غرامه
من لوعة الذكرى وحسرة الجفاء
ويجتني الزهر الذي لم تختضب
يداه في الشوك بحمرة الدماء
جميع هؤلاء مهما سعدوا
من نعم الحياة بأمن ورخاء
فان أسرار الحياة تختفي
عنهم وهم عنها دواما في اختفاء

مهرجان الأدب الشعبي

أقامت الجامعة الشعبية يوم الأحد الماضي مهرجانا ثانيا سمته «مهرجان الأدب الشعبي» ولعل القراء يذكرون ما كتبت عن مهرجانها الأول، وكان مما لاحظته فيه أن بعض الخطباء

كشكول الأسبوع

□ أبحر يوم السبت الماضي من الاسكندرية، معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف، قاصدا إلى فرنسا وإيطاليا في رحلته الثقافية التي سيبدؤها بافتتاح محاضرات كرسي «محمد علي باشا الكبير» بمعهد البحر الأبيض المتوسط في مدينة نيس بفرنسا. وسيرأس معاليه وفد مصر في مؤتمر اليونسكو الذي سيعقد في مدينة فلورنسا بايطاليا في ٢٢ [illegible]

□ أعد معالي وزير المعارف مذكرة لمجلس الوزراء يطلب رفع مكافآت أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية من ١٠ الى ٢٠ جنيها في الشهر.

□ استقبل معالي وزير المعارف سعادة حسن فائق باشا وكيل الوزارة السابق، في اجتماع عقد لتنظيم الجوائز التي رأى كبار رجال التعليم تخصيصها للطلبة المتازين باسم فائق باشا تكريما له وتقديرا للجهود التي بذلها للتعليم ورجاله. والجوائز تحصل من ريع أسهم اشتريت وخصصت لهذا الغرض بدلا من إقامة حفلة تكريم.

□ كان قد وضع برنامج في إدارة النشاط الاجتماعي والرياضي بوزارة المعارف، يقضي بتنظيم رحلة من الطلبة لزيارة بعض البلاد العربية للأغراض الاجتماعية والثقافية التي تتوخى من مثل هذه الرحلة. ولكن مراقب الإدارة الجديد كتب مذكرة اقترح فيها أن تكون الرحلة إلى اسكندرية ... لأن الطلبة المصريين قد شبعوا من البلاد العربية! ولما عرض ذلك على معالي الوزير استنكره وسأل المراقب: من هم الذين شبعوا من البلاد العربية؟ وإذا كان هناك من شبعوا فلماذا لا يسافر غيرهم؟ ولماذا اختارت اسكندرية؟ ومن عندك يريد أن يسافر إليها؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي غرق فيها المراقب ولم يستطع لها جوابا.

□ أهدت أسرة المغفور له الأستاذ علي محمود طه مكتبة الفقيد إلى دار الكتب الفاروقية بالمنصورة، وقد قرر مجلس بلدية المنصورة المشرف على دار الكتب شكر الأسرة، وكتب بهذا الشكر إلى شقيق الفقيد، كما قرر المجلس اطلاق اسم الشاعر على شارع الفصاوي بالمنصورة، وهو الشارع ولد فيه.

□ صدر في العراق أخيرا ديوان «ملائكة وشياطين» للاستاذ عبد الوهاب البياتي، وهو يغني فيه بألحان صادرة من أعماق نفسه، فيطرب ويعجب.

□ أشرنا في الأسبوع الماضي إلى استقالة يوسف وهبي بك من الفرقة المصرية. ونذكر الآن أن هذه الاستقالة جاءت على أثر إبداء الرغبة فيها من جانب أولي الأمر، وذلك لتعديل الفرقة وتكوينها على أسس جديدة تكفل قيامها بالرسالة الفنية الخالصة المرجوة من فرقة ترعاها الحكومة وتعمل على مسرح الأوبرا الملكية.

تناولوا موضوعات داروا فيها حول الروح الشعبي والديمقراطية في الأدب ، وقلت إنه كان ينبغي أن يكون للمهرجان موضوع أو فكرة يدور حولها . وفي هذه المرة أسجل للمشرف على الدراسات الأدبية في الجامعة الشعبية وهو الأستاذ علي الجمالاطي فضله ، من حيث أثبت أنه ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فقد جعل لهذا المهرجان محورا هو «الشعبية» وأضافه إلى الأدب الشعبي . وقد قال الأستاذ في افتتاح المهرجان إن روح الاتجاه إلى الشعب قد أصبحت تسود الآداب في العالم الحديث ، وإن الأدب لحقيق بذلك ، فإن كان للخواص عقول تدرك فإن للعامة قلوبا تحس . ثم قال إن هذا البرنامج يقدم أدبا عاميا . وقبل أن أناقش موضوع المهرجان ننظر في البرنامج .

كان من المقرر أن يبدأ البرنامج بموضوع للدكتور أحمد أمين بك عنوانه «في الأدب الشعبي بلاغة» ولكننا أسفنا لمرض الدكتور وتخلفه عن الحضور ، شفاه الله وعافاه . وقد ألقى الأستاذ كامل كيلاني كلمة بعنوان « الفكاهة في الأدب الشعبي » تناول فيها شخصية جحا وفكاهاته أو فلسفته الفكاهية وساق بعض نوادره ، وجحا — كما حقق الأستاذ الكيلاني — شخصية ذات سمات خاصة ، وهي مكررة في كثير من الأمم ، فجحا العرب هو أبو الغصن دجين بن ثابت ، نشأ بالكوفة وعاصر أبا مسلم الخرساني ، وقد علم بأمره أبو مسلم فاستدعاه ، فأراد جحا أن يتباله أمامه لينجو من أذاه ، وكان مع أبي مسلم رجل اسمه يقطين ، فنظر إليهما جحا وقال : أيكما أبو مسلم يا يقطين ؟ أما جحا إيرلندا فقد كتب إلى صاحبته يقول لها : إنني سيء الظن بالبريد فلست واثقا من وصول كتابي هذا إليك . فإن لم يصلك أرجو الإفادة ! وأما جحا انجلترا فهو جورج الذي عزم على أن يقلع عن شرب الخمر فامتنع عنها أربعة أيام ، ثم جعل يمشي حتى كان أمام خمارة ، فوقف يخاطب نفسه : مرحى ياجورج ! لقد أمضيت أربعة أيام دون أن تذوق خمرا ، إنك تستحق كأسا مكافأة لك ! ثم دلف إلى الخمارة !

وتحدث الدكتور عبد الحميد يونس عن « ملاحمنا الشعبية » فقال إن النقاد ومؤرخي الأدب درجوا على القول بأن الأدب العربي خال من الملاحم والقصص التمثيلية ، إذ قال المستشرقون ومن تابعهم من العرب : إن أدب غنائي كله ، والواقع أن في هذا القول خطأ جاء من أنهم لم ينظروا إلى الأدب العربي نظرة تشمل اللهجة الشعبية التي أنشئت بها قصة « سيف بن ذي يزن » و « عنترة » وسيرة بني هلال ، وغيرها ، وقد نشأ هذا اللون من الأدب عندما شعرت الأمة بتغلب العناصر الأجنبية عليها ، فلجأت إلى البطولة المستمدة من تاريخها لتشبع اعتزازها وكرامتها . وقد بين الدكتور عبد الحميد خصائص هذه الملاحم وفن المنشد الذي يسمى (الشاعر) في التعبير عن معانيها ، وخلص من هذا البحث القيم إلى أنه يجب الرجوع إلى هذه الملاحم ليتخذ منها — بعد التعديل والتهذيب — فن تمثيلي مستمد من البيئة قائم على تلك الشل ، وأعقبه المنشد الشعبي سيد فرج السيد فأنشد على الربابة موقعة من مواقع أبي زيد الهلالي مع الزناتي خليفة ، وقد أطرب ونال الاعجاب بتعبيره القائم على تنغيم الصوت في مواضعه ورفعه وتشديده عند الحديث عن الشجاعة ومعاني العزة . والواقع أن هذا فن جدير بالاحياء «والتطوير» فهو من الفنون الجميلة المعبرة ، ولو أنه جاءنا من أوربا لكان له شأن آخر !

وكانت بقية البرنامج أزجال ، وهي طبعا أدب عامي ، ولكن بحث الدكتور عبد الحميد يونس وموضوع الأستاذ كامل كيلاني ، ليسا من الأدب العامي ، وإنما تحدثا عن ألوان شعبية حديثا أدبيا فصيحا — وقد عقب الأستاذ مظهر سعيد في نهاية المهرجان بأن المؤسسة (الجامعة الشعبية) قامت في هذا المهرجان بحق الأدب الشعبي كما قامت في المهرجان السابق بحق الأدب العربي الفصيح ، ونعت الأول بأنه أدب الأمة ، والثاني بأنه أدب الخواص ...

وبعد فهل الأدب الفصيح لا يعبر عن الأمة ؟ وهل اتجاه الأدب إلى الشعبية معناه اتخاذ العامية لسانا له ؟ إنني لا أنكر بدائع الأدب الشعبي العامي ، ونحن نقبلها على أنها نوع من القول المعبر لا بأس به ، ولاشك أن فيها كثيرا مما يعجب ويمتع ولكن ليس معنى هذا أن الاتجاه الشعبي في الأدب طريقه العامية وليس الأدب الفصيح قاصرا عن التعبير عن الأمة . وإلا ففيم هذه الجهود التي تبذل بالتعليم وبالتأليف وبالصحافة وغيرها لتعميم اللغة العربية بين أفراد الشعب ، تلك الجهود التي لا تخفى ثمراتها . فنحن إذن نتجه إلى هدف لغوي هو اتخاذ اللغة العربية الفصيحة لسانا معبرا عن الأمة ، وقد يسرناها بالوسائل الحديثة حتى صارت «شعبية» محبوبة ، ومن هنا يجب أن تكون الشعبية غير العامية ، كما أنها — ولابد — غيرها في تسمية « الجامعة الشعبية » أو « مؤسسة الثقافة الشعبية » .

عباس مضر

٣٤ . ٣٧

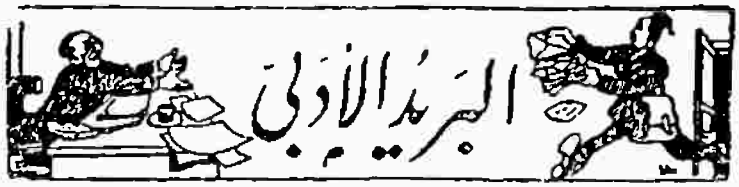

الذكرى السنوية لميلاد شكسبير

احتفلت بريطانيا في يوم ٢٣ أبريل الحالي بمرور ٣٨٦ عاما على ميلاد الكاتب الروائي الخالد شكسبير، في هذا الاحتفال معظم أمم العالم التي ساهمت هذا في التكريم بأن نشرت أعلامها في وقت واحد على امتداد الشارع الرئيسي الذي يوجد فيه المنزل الذي ولد فيه هذا العبقري في مدينة ستراتفورد أون آفون. ويبلغ عدد الأمم التي اشتركت في تكريم ذكرى شكسبير ٨٠ أمة. وكانت أعلامها ترفرف في منظر خلاب على ضوء شمس الربيع الساطعة.

وقد اشترك في الحفلة التي أقيمت بهذه المناسبة ١٦ سفيرا ممن يمثلون الدول الأجنبية وعدد كبير من الدبلوماسيين. وقد اقترح المستر لويس دوجلاس السفير الأميركي شرب نخب هذه الذكرى الخالدة كما تقضي بذلك التقاليد في أثناء حفلة الغداء التي أقامها عمدة مدينة ستراتفورد اون آفون. ثم أزاح السفير الأميركي بعد ذلك الستار عن اللوحة التذكارية المصنوعة من البرنز التي وضعت على جدار مسرح شكسبير التذكاري على ضفة نهر آفون.

وقد سجلت على هذه اللوحة عبارات التمجيد والاطراء للمساعدة الأميركية التي قدمت لاعادة بناء هذا المسرح المشهور، كما أنها تشيد بكثرة عدد الزيارات التي قام بها الرجال والسيدات الذين حضروا من الولايات المتحدة إلى بريطانيا خلال سنوات الحرب الماضية. وقد تحدث المستر دجلاس عن المنح العظيمة التي قدمها هذا الشاعر للعالم فقال «إذا كان أبناء بلدي من رجال ونساء قد ساهموا في اعادة بناء هذا المسرح كدليل منهم على تقديرهم لذكرى ويليام شكسبير فما ذلك إلا لأنهم يعرفون حق المعرفة أنه ليس في الامكان تقديم أي مقابل لتلك المنح الجليلة التي قدمها ذلك الشاعر للجنس البشري.

الى الأستاذ الشرباصي ...

قرأت ما كتبته في الرسالة الزهراء بعنوان (الأزهر في مفترق الطرق) ... ولقد كان لمقالك أثر كبير في نفسي، وشعور ممزوج بالثناء والتقدير، مشوب بالعتاب واللوم ... لأني أنظر إليك وإلى أمثالك في المحيط الأزهري نظرة التائه في الصحراء إلى الواحة، تتعلق بكم الآمال، وتتحقق على يديكم الأحلام، لأنكم أنتم الفئة التي جابهت روح العصر، وسايرت ركب الحضارة، وتابعت قافلة الزمن، ففهمتم القديم، وسهلتم من الحديث، فجمعتم الأمرين ونلتم الحسنيين ... وأعتب عليك يا أستاذي على ما ورد في مقالك (وظهرت في الأزهر كتب جديدة لها قيمتها العلمية أنشأها رجال في الأزهر لهم مكانتهم وثقافتهم) ثم ذكرت منهم عبد الحميد والصعيدي.. وفي الحق أيها الأستاذ الفاضل أننا ننظر إلى مؤلفات عبد الحميد مثل التوضيح لابن هشام في النحو وكتاب السعد في البلاغة، والخبيصي في المنطق للصعيدي، فلم نجد فيها ما يجلو الصدأ، ويمحو التعقيد. فإذا كان نقل الكتب من ورق أصفر إلى أبيض هو التأليف والتجديد.. فيا لضيعة التأليف والتجديد في الأزهر.. لأنه لم يحدث فيها ما ينقلها من طور إلى طور ومن قديم إلى جديد. وللاستاذ الشرباصي تحية إعجاب وتقدير.

محمد القاضي خليل
بمعهد فاروق الثانوي بقنا

اكتشاف لوحة قيمة للأستاذ رفائيل

توجد في «ورويا كاستل» بانجلترا مجموعة من أندر اللوحات الزيتية في العالم. وقد اكتشف بينها أخيرا لوحة «العذراء» التي رسمها «بيترو بيروجينو» ـ أستاذ رفائيل ـ في النصف الأخير من القرن الخامس عشر.

وقد ظلت هذه اللوحة في القصر ١٥٠ عاما؛ ويرجع اكتشافها إلى المصادفة المحضة. فقد كان الفنان البريطاني الشهير «هنري هاب» يعمل في تجديد مجموعة اللوحات القيمة الموجودة بالقصر عندما لاحظ وجود لوحة قديمة انطمست معالمها نظرا لطول العهد الذي مر بها.

وعندئذ بدأ المستر «هاب» في إزالة الغبار عنها بكل دقة وعناية ـ لدرجة أنه كان يخشى في بعض الأحيان أن يعمل أكثر من ساعة واحدة في اليوم ـ إلى أن تم له أخيرا كشف هذه الدرة الغالية لاستاذ رفائيل.

ساعات السحر

للدكتور أحمد زكي بك

هذا نموذج ناضج لأدب المقالة الدسمة ذات الموضوع الخصب. فليست هذه المقالات من هذا الطراز الذى كل هدفه إظهار المحصول اللغوى ولا شيء وراء هذا لضآلة موضوعها وفجاجته، ولا هى من هذا النمط المتهافت الأسلوب العامى الأداء.

ولكن ماهى السمات التى تطبع أدب الدكتور زكى بك؟ فالمقالة قد تتحد فى جودة الأسلوب، ودسامة الموضوع، ثم هى تختلف فى لباب الفكرة؛ وتتباين فى جوهر الموضوع، فهناك المقالة العاطفية التى تستمد فيضها من شاعرية الوجدان؛ وهناك المقالة التى تأخذ سندها من الدراسات النفسية أو الاجتماعية؛ والمقالة التى تتخذ المنطق وسيلتها؛ والمقالة التى تستوحى روح العلم وتسير بوحى من هداه. ومن هذا الطراز مقالات هذا الكتاب. والذى أعنيه بروح العلم هو استشفاف روحه؛ واصطناع أساليبه فى البحث؛ فهو لا يسبح بك فى تلك الأجواء المزيج من النور والظلام، أجواء الصوفية الوجدانية، ولا يلح الحاح أصحاب المنطق وعشاق التفلسف، بل أنت معه فى ضوء العلم ووضوحه، واناته ووزانته. وليس معنى هذا أنه يدخل بك فى ميدان العلم وجفاف موضوعيتـــه؛ كلا، بل هو يستوعب ويتشرب روح الموضوع عن طريق فكره، ثم يأخذ فى التفنن والابداع الفنى فى تصوير معانيه وتجسيدها وابرازها واشاعة الحياة فى كل ما يعرض؛ فإذا هى قطع فنية من حيث العرض والتصوير علمية من حيث اعتمادها على دعائم الفكر. فإذا قيل أن بعض الكتاب يؤدب الفلسفة، وبعضهم يفلسف الأدب فالدكتور زكى بك يعلم الأدب ويؤدب العلم؛ لأنه قد وفق فى تطعيم الأدب بروح العلم، أو فى عرض العلم بحيوية الفن وجاذبيته. هذه هى السمات التى تطبع تلك المقالات التى جمعها الدكتور زكى فى كتابه الأخير (ساعات السحر) فأنظر كيف يتناول موضوع الشباب فيلم به من جميع أطرافه فى مقاله (يعجبنى الشباب إذا) فيقول: «يعجبنى الشباب إذا هو تأنق وترقق فى غير أنوثة. فيعجبنى فيه الوجه الطليق النظيف والشعر الممشوط، فتلك زينة خليقة بابن آدم. ومع هذا فهو عند العمل يخلع التأنق وينبوعن الترقق، فإن كان العمل زيتا أو فحما انغمس فى الفحم والزيت ولم يشح بوجهه عن الأعفرة» ويصور دور الشباب فى تحمل المسؤولية الانسانية فيقول: «يعجبنى الشباب إذا أدرك أن الصبا عهد متعة وكذلك عهد تحصيل. أما المتعة فلأن الشباب أقدر على متعه وأحس للذته، وكل لذة عنده جديدة، وعمره بعد ذلك كعمر الورد قصير. وأما الدرس فلأن الدرس متعة الانسان لنفسه، وعلى عمده يقيم بناء مستقبله، ومستقبله إذا ساء بكى عليه، وبكى وحده، وبكى حين لا ينفع بكاء. ثم لأن الدرس حصة الانسان فى مواصلة المدنية ووفاء بمسؤولية للقبيل واللامة والجيل» وعلى هذا النسق من اتزان الفكر وعمقه وطلاوة العرض ودقته يقدم مقالاته عامة ومقالات هذا الكتاب خاصة.

محمد عبد الحليم أبو زيد

ملائكة وشياطين

للشاعر عبد الوهاب البياتى

ظل الشعر فى العراق أقرب فنون الأدب إلى العراقيين ... ذلك لأنه قريب من ذلك المزاج العربى الأصيل الذى حفل بالشعر وجعله معبرا عن عواطفه واحساسه.

وجاءت دوافع السياسة، وبواعث الحرية والاستقلال فى أوائل القرن العشرين فأصبح الشعر معبراً عن آلام الملايين وأحلامهم، موقظاً الحماس، راسماً لهم الطريق السوى للانتصار

فى معركة الحرية، فرأينا موجة الشعر السياسى التى درسها صديق الاستاذ ابراهيم الوائلى ، ممثلة الثلاثة الأعلام من الشعراء العراقيين الكاظمى ، والرصافى، والزهاوى .. فطغى على سائر أغراض الشعر

وظل الشعر السياسى فى المقام الأول بعد الثورة العراقية ، وإنشاء الحكومة الوطنية ، ذلك لأن العراقيين الطامحين إلى حكومة مستقلة تمام الاستقلال ، لم يرضوا بحكم تسيره يد خفية وتوجهه وفق مصالحها وأهدافها الخاصة ، فضج الشعراء بالشكوى وناضلوا ضد طغيان الحكومات وتدخل الدخلاء ، واضطراب الحياة الدستورية .. وما زال بين الشعراء العراقيين من يترصد الحوادث على مسرح الحياة السياسية ليعبر عن رأيه شعرا !

ولا تظنن أن العراق إتصل بالثقافة الغربية ، والحضارة الأوربية منذ أمد بعيد ؛ فالظاهر أن حوادث السياسة ، وتناحر الناس ، ونضالهم لتأسيس نظام حكومى متقن صرفهم عن التطلع إلى تلك الآفاق البعيدة فى محيط الغرب . غير أن الحرب العالمية الثانية اضطرتهم إضطرارا إلى الوقوف على تلك العوالم الجديدة فى الفكر والثقافة وأمور الحياة . ففتح الجيل الحاضر عينيه على بيئة قاسية على نفسه ، بيئة يترا كم فى أرجائها تراث عظيم من التقاليد الشرقية المحافظة . وهو بعد ذلك يسمع ويقرأ مما عبر إليه من أحاديث الغرب وأدبه فأيقظ فى نفسه ذلك الهيام العاطفى إلى الآفاق الرحبة ، والآماد البعيدة ، وثارت نفسه على تلك البيئة التى لم تحترم هواه ، ولم تقس عن آمانى نفسه .

فنشأ عندنا الشعر المتطلق فى تعبيره ، المتطلق فى إحساسه. وهو بعد أثر من آثار الكبت العاطفى ، والحرمان الطويل . . ولا يكلفك التنقيب عن ذلك مشقة . فسأحدثك عن شاعر شاب يمثل تلك الفئة وهو الشاعر الشاب عبد الوهاب البياتى .

وأول ما يبهجنى أن ديوان الشاعر يعطيك صورة واضحة لنفسه . صورة تكون لك الشخصية الفنية فى أروع صورة ، وادق ملامح ، وأرهف تعبيراً .

فالشاعر المنعزل لاتفوتك صورته وهو فى محراب العزلة حاملاً على عاتقه رفات أحلامه ، وأوراقاً يابسة من آماله وأمانيه :

يا قلب ماذا ! ... كل لحن مات فى فيثارتى
اليأس والأوهام والحلم الوجيع ودمعتى
حتى خيالات الجنون تنفست فى عزلتى
ولهاثها المسموم أمطار تسيل بظلمتى

هذا اليأس المرير ، والنغم الباكى يلاحظان فى كل قصيدة من قصائد الديوان .

وفى كل قصيدة من قصائده تجد هذه العناصر مجتمعة : أسى ومرارة وحرمانا وطعماً ولهمه روحيه وصيحاً بالواقع ، وخيالا تخلقه تلك النفس التواقة إلى الحرية . حتى حبه الذى يطالعنا به الديوان خيال، وحبيبته فكرة بلورتها تلك اللهفة الظامئة إنظر إليه كيف يصور محبوبته فى قصيدة بعنوان « إليها »

فكرة أنت جسمت أشواقى ... وأضاءت بنورها أعماقى
واستجمت من قبل ميلاد فكرى ... فى خيال الطبيعة الخلاق
صورة أنت من قديم الزمان ... رسمتها مدامع الحرمان
وشعاع الخلود أضفى عليها ... رائعات الظلال والألوان

فالحب عنده تلك اللهفة الى المجهول ، وذلك الشوق الهائم إلى الصدر الحنون والقلب الرءوم، والنفس الحادية التى تفيض ظلالها العذبة على الشباب المحزون . والديوان كله لا يعطيك صورة لا مرأة بعينها بحيث تحس بكيانها المميز ، وشخصيتها الواضحة . بل هى فكرة من الفكر .. أو عاطفة من عواطف الشاعر الظامئ إلى صورة مثالية تتكون ملامحها من الرقة العذبة ، والحنان الوريف . تنبت كالواحة الوارفة الظلال فى صحراء مجدبة من الحنان والحب!!

فهذا الحرمان الواضح فى الديوان مد الشاعر بقوة على الخلق الفنى الممتاز ، وأرهف حسه ، وجعله يهيم فى عوالم من خياله ، وانسراح عاطفته! ... وفى الديوان رحلات جميلة فى عالم الشعور... رحلات الحالم المنزوى بصومعة من أحلامه :

وما ذلك الحالم المنزوى ... بصومعة الفكر إلا خيال
يحس بصوت الحياة البغيض ... ينادبه فى قسوة أن تعال
فيمعن فى حلمه ساخراً ... بأطيافها الشاحبات الثقال
بعزلة قيل عنها : الشروق ... بأفكوهة قيل عنها: الزوال!

وأغلب قصائد الديوان صور وهيا كل لصور بعضها موفق أعظم التوفيق لنقل الاحساس إليك . ولا تنتظر منى أن أنقل

دموع من الماضى

للاستاذ احمد شفيق حلمى

وهرعت إليك ياسيدى الممدة ، لأنفض بين يديك جل أمرى ، من همومى وأتراحى ... وأنا حطيم القلب كسير الخاطر . وأنت تعرف كيف يقتل القلب الحزن المضنى والبكاء الأسيف ! وكيف يعصر الروح أنين الثكالى والنواح الحزين !

« فرج الله » ولدى الوحيد يا سيدى الممدة . « فرج الله » ربيبى فى الخريف العابس ! أظنك تعرفه جيداً ! لقد حدثتك عنه ودموع الفرح تتراقص فى عينى ... بل أنت نفسك قد ساهمت فى وجوده ! لقد ولد بعالك المبارك ، فأرسلت للقابلة أن تأتى ، وزوجتى « فطومة » تعانى آلام المخاض ، وتتلوى كالثعبان !

أرسلت فى طلبها من أجل أنا الأجير المسكين . فاكتحلت عينا طفلى بالنور على يديها المباركتين الصالحتين ... واندفعت وقتذاك نحوها بفرج ألح عليها أن تأخذ بطة سمينة ، وثلاثة أقداح من الذرة ، وهى كل ما أملكه حينذاك ! كدت أذوب خجلا وأنا أتقدم إليها بالهدية المتواضعة . ولكن ما العمل وضنك العيش يدفع بنا إلى الفاقة !!

وأظنك تذكر ذلك الفرح العظيم الذى أقناه ، وقد أتم « فرج الله » سبعة أيام من عمره ... جاءت المولدة فى الصباح ، ومعها من البخور أصناف شتى من المسك والكافور ، وبعض أنواع النباتات الخضر . وأقبلت نحو فطومة ، وقبلتها فى وجهها ، ثم جعلت تتمتم بدعاء خاص ... وهى تهز شيئاً تحمله فوق رأسها ، ثم أنهضت فطومة ، فأطلق البخور ... ولفت حوله سبع مرات والأطفال تتصايح فى مرح ، وراحت المولدة تطوف فى أرجاء الدار ، والطفل بين راحتيها ، والفسوة من حولها يلقين الملح على الرءوس ، ويهللن بالأفراح !

وتقدمت أنا والبست الطفل حجاباً يحفظه من الأرواح

إليك بعض تلك الصور لأننى أود أن تطالعها هناك فى الديوان لتطلع على ناحية مشرقة فى الشعر العراقى الحديث ...

إلى هنا أقف مع الشاعر الشاب لا نفذ إلى بعض المآخذ فى الديوان !

وأهم تلك المآخذ ذلك الاضطراب الذى تلاحظه فى بعض القصائد ، وهو راجع إلى تلك الصور المبهمة التى يخلقها الشاعر ، وإلى ذلك الانطلاق فى التعبير ، والانسياق مع عاطفة غامضة ، أو شعور يحبه ولا يبينه .. وأحسن صورة لذلك الاضطراب « حانة الشيطان » فهى قصيدة « سائحة ! » لا ترتبط مقاطعها برابطة ، ولا تنتظم بوحدة من فكر أو شعور .. تقرأها فسرعان ما تحس بتواكب الصور التى تدفعك فى إتجاهات مختلفة ، وتنقلك من محل إلى آخر وأنت لا تعرف على أى نظام تسير !

ففى بداية القصيدة تصوير بعينين « أطلق جفنها السهر » - يقصد جفنها ! - و « فم على الأقداح يحتضر ! » .. ويختم القطع الأول بأن جراح الكأس نكأت فارتعشت « آه » يقص جناحها الضجر ! وفى القطع الثانى يصف هذه الـ « آه » كأنها المصباح فى الحان ، أو كأنها عينان من حجر ! - ولا نعرف الصلة بين المشبه والمشبه به !! - وعلى مثل هذه الرابطة تمضى القصيدة ... وليس هذا كل ما يلاحظ فى الديوان . فهناك تشابيه متضاربة لشىء واحد مثل قوله :

عيناك عاصفة هبت وما تركت ... على صباى سوى طيف من السقم
عيناك مقبرة فى صمتها نسجت ... عناكب اليأس أكفانا من الظلم

ولك أن توفق بين العاصفة والمقبرة الصامتة !!

وفى الديوان كثير من التعابير لم أستسغها من نوع « النجم فيه ضحكة سوداء أيبسها الأوام » و « حيث الأزاهير لا تضيق إلا على همس الطريق » و « آه كأنها عينان من حجر أهدابها أنفاس سكران » !! ومثل هذه التعابير .

ولكن هذه المآخذ القليلة لا تمنعنا من أن نقول : إنه شاعر موهوب .

غائب طعمة فرمان

الشريرة ، وأخبرتني بعض النسوة أن أحمل معي ليلة الجمعة الميمونة ملابس الطفل إلى ضريح الشيخ الأتربي ، وهناك أغمسها في الماء المبارك الذي غسل به المقام الطاهر كي يطيل الله في عمره ، ولكني في غمرة الفرح بطفلي نسيت أن أفعل وأسفاه .

— ٢ —

وكانت فوحة لم تتم ، وبشر ذاب في موجات الأسى والحزن .

إني أذكر يا سيدي العمدة ، ما قالت القابلة وقتذاك ... ؟ فاتحة عناقيح الله ... [illegible] ... من الأسى ترسل الدموع سخينة حارة من أجل فرج الله ، وقد ضرب بينها وبينه بحجاب ، فهي لا تراه وهو لا ينعم بها ! وما العمل وقد فرق المرض اللعين بين أم ووليدها !

وطفق الصغير يبكي في لوعة ، وأنينه اللهيف إلى أحضان أمه الحبيبة لا ينقطع أسبابه أبداً ... لا تسألني وهو الوليد منذ ليال كيف يبكي ؟ كيف يفهم أن هذه المرأة هي أمه ؟ بربك لا تعجب ! فهذه صلة الأرحام ، وحكمة عالم الغيوب !

كان فمه الدقيق كفم الشلب ينفرج في بطء ، ويداه اللدنتان كريان البرسيم تضربان الهواء بعنف ، وقدماه العاريتان تحاولان الخلاص من الغطاء السميك ، وقد أحكم حول جسده خوف الزمهرير ...

كان يبكي من أجل الرضاع ، من أجل ثدي أمه الرءوم ، وقد انتزع منه انتزاعاً ! فعلت المستحيل لأسكن من بكائه الدائم ، فطرت إلى الغيط جزعاً ملهوفاً ، وعدت فرحاً بقدر ملوء باللبن الحليب . وتقدمت نحوه بقلب واجف ، وخطى خفيفة ، ولساني يلوك الدعاء لولي بلدنا الصالح الشيخ الأتربي . إني أخشى أن يصرخ . إني أخشى من كل شيء أن يمسه بسوء ، وحملته بحنان بين راحتي ، وحسست الحجاب الملتف حول عنقه الصغير ، وأنا أبتهل للاولياء الصالحين ألا يبكي فيمزقني ألماً وحسرة . واحتضنته بناظري متوسلا مشفقاً ، واقتربت أصابعي بالزجاجة من فمه الصغير . لم يبك فلأني الفرح ، ولبستني الشجاعة ، وانسابت قطرات اللبن في فمه الصغير ... آه يا قلبي ! لقد صرخ ، وضرب بيديه الهواء بعنف ، فانفلتت الزجاجة من بين أصابعي ، وسال اللبن على الحصير القذر ، فوسدت ولدي الفراش ، وتركته يائساً وأنا ملتاع النفس حزين !

— ٣ —

خرجت إلى الطريق ، وقلبي أشبه بقلب كل أب ، رقيق كالغصن الأخضر ، صاف كعين الديك ، حنانه يحاكي حنان الأم ! خرجت أتعثر في الحارات ، أضرب أخماساً في أسداس ، وأنا أسير تحت كابوس مفزع ثقيل الوطأة ... رأسي أشبه بساقية تصر في نواح كئيب ، قدماي من فرط الضنى تنوءان بحملي ... [illegible] ... الحقول ، وقد لعب بها النسيم والجلوين . رأيت جماعة من الفلاحين في ظلال وارفة تنبسط تحت شجرة جميز ضخمة ، والبشر باد على محياهم ، والسلام ران على قلوبهم ... رأيتهم يأكلون مشاً وبصلا وحزمة جلوين ! ولمحت إلى جانبهم ثوراً وجاموسة يلتهمان عيدان ذرة . لشد ما أتلهف اليوم إلى ذلك السلام العجيب ، وقد لفع القرية بوشاح المحبة والأمن والخير ... وأنفاس الريف الهادئة تنفث في سكانها الحياة ! الشمس ساطعة ، والحقول الخضر منبسطة أمامي على مدى الطرف ... والديكة تنبش الأرض وتصيح ... والأرز يعوم في القنوات المعشوشبة ، وأبو قردان يحط في أسرابه البيضاء على هام النخيل ، يرقب عن كثب ثوراً يحرث الأرض ، وصاحبه يحثه على العمل وهو صبور يغني ... يالله ! الكل فرح راض بما قسمت له يا رب ، أما أنا الحزين المهتاج فقد كدت أسقط في جدول يفيض في حقل باشا عظيم !

وأخيراً وصلت إلى امرأة عجوز صالحة ، ونفضت بين يديها ما ناء بحمله قلبي . قالت لي : لا تحزن يا بني ، وإني لأعجب كيف يعصر اليأس قلبك ، وبركة الشيخ الأتربي تعم القرية ، وتفيض على شاطئيها » ! !

ثم استطردت تقول : أتعرف أم عمروس جارتنا الصالحة المؤمنة ؟ اذهب إليها فهي طيبة القلب ، ويداها مملوءتان بالبركة ، عليها تعود معك فتشفي طفلك السقيم ، وخذ معك لها من « الدوار » عطيراً وبلحاً » ...

— ٤ —

وبقلب طيب خاو إلا من رحمة الله ، اتخذت طريقي إلى مقام الشيخ الأتربي . وهناك توضأت من المبضأة النظيفة ، وصليت لله

ثم تلوت بعض الأوراد ، ولم أنس أن أقبل قضبان الضريح ، وأن أطوف حوله سبع مرات ، وأنا أهمس بكلمات من ذوب قلبي

ثم خرجت من المقام ، وأنا أحس بالريف الحبيب ! حقوله الخضر فسيحة كالأمل .. يمرح فيه الساكين ! هواؤه النقي ، ندى كحبات الطل ، يهمس للزهور في غمرة الخريف ! الدنيا كلها ترقص فرحة مرحة طروبة

ووصلت إلى كوخ مسقوف بالبوص تسكنه « أم عمروش » المرأة البريئة التي عاضتها ما حدث ، ثم ناديتها فطيراً مندى باللبن الرائب ، وتوسلت إليها أن تعود معي إلى الطفل المسكين ، فسألت « كم أجري ؟ وأين مسكنك ؟ » فقلت : أما المسكن فهو قريب من هنا ، وأما النقود فأنا مفلس منها ! ! أرجو منك يا ام عمروس أن تنقذي ولدي، استحلفك بيوم الحصاد وهو قريب ، أن تعودي معي ، وهنا قد يأتي الفرج فأعطيك ما سوف أستدين !

وطالت المساومة ، واعتدم الجدال ، وهي لا تلين ولا تستجيب لرجائي .. فهممت أن أرجع يائساً مسلماً أمري لخالقي حلال المشكلات !

ولما ابتعدت عنها نادت بصوت مرتفع : انتظر يا عم مخلوف سأذهب معك ، والله يفك كربتي كما أنا أفك كربة الناس! وطرنا إلى البيت أنا فرحان مطمئن ، وهي لا هثة تحث الخطى ورائي

— ٠ —

طفلي الحبيب ينعم بعد جوع ، ويسمن بعد هزال !! لك الله ياطفلي ، وقد نادت أيامك السبع بالأتراح .. وأنت تخطو وتيداً على أبواب دنياك ! وما ذنبك أيها الحبيب الغالي والدنيا شرور وآثام ! ! أمك وأبوك يمضهما الفقر ويمصرهما الحرمان .. أبوك يا « فرج الله » فلاح مسكين يروي الحقل بعرقه ويحصد الهشيم آخر السنة ! صاحب الحقل يلح في طلب الأجر، ومالك الماشية يقصدنا مع الهلال العربي كأنهما على ميعاد ! .. والدائنون النهمون يزمجرون في غضب ، ويتوعدون بحقد مرير وليس للفرار منهم من سبيل ! كم يبقى له بعد ذلك إلا الحزن يضنيه ، والأسى يعصره .. وهموم العيش ترمي به في أحضان الحرمان !!

ولكن (فرج الله) سيجعل ظلامي فجراً باسماً .. سوف يأتي الرغد يحث الخطى خلف صفحته المضيئة .. تكثر الأمواه في الترعة ، ويزدهر الحقل ، وتجني الثمر فيكون خيراً عظيماً .

... وأفقت ياسيدي العمدة على عتبة داري، والنحيب الحرق يطرق مسمعي بقسوة ، وزوجتي « فطومة » تصرخ وتصيح: « ولدي ! ولدي » ! والنادبات من حولها يلطمن الخدود ، ويضربن على الصدور ، ويتمايلن كالمجنونات !

ورفعت رأسي الأشيب لأشهد ما جرى ، ثم أطرقت إلى الأرض ، وتحدرت على وجهي الشاحب دموع سخينة ..

وساد المكان صمت كئيب ثم استطرد يقول :

« أعرفت ماذا جرى أيها العمدة ؟ أفهمت ماذا أعني ! ؟ »

ثم أشرقت عيناه بالدموع ... وهو يتثبت بخيط رفيع من الماضي يقص منه مأساة دنياه :

« وهناك في الحقل لمحني الناس أخبط في طريق ، إلى أين ؟ لست أدري ! وعلى الأعشاب الخضر في ممشى الحقول كنت أحث الخطى كأنما تقودني أنفاس خفية ! إلى هناك ...؟ وبعد هنيهات تسللت قدماي إلى مقام الشيخ الأتربي ، وغمر السكون حين ذاك تسابيح عطرة ، تنساب مع سكون الريف إلى أعماق الناس ! تدعو لمبدع السكون بالصلاة .

أحمد شفيق علمي

إدارة البلديات العامة

حدائق

تقبل العطاءات العلنية ظهر ٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٥٠ ببلديات ملوى . بورسعيد . القناطر الخيرية . ميت غمر عن توريد شعير وتبن وتطلب الشروط من كل بلدية نظير ١٠٠ مليم بخلاف أجرة البريد . ٤٧٠٧